رواية

جميل موسى ضباب

الحُزن لا يقتل الأحلام

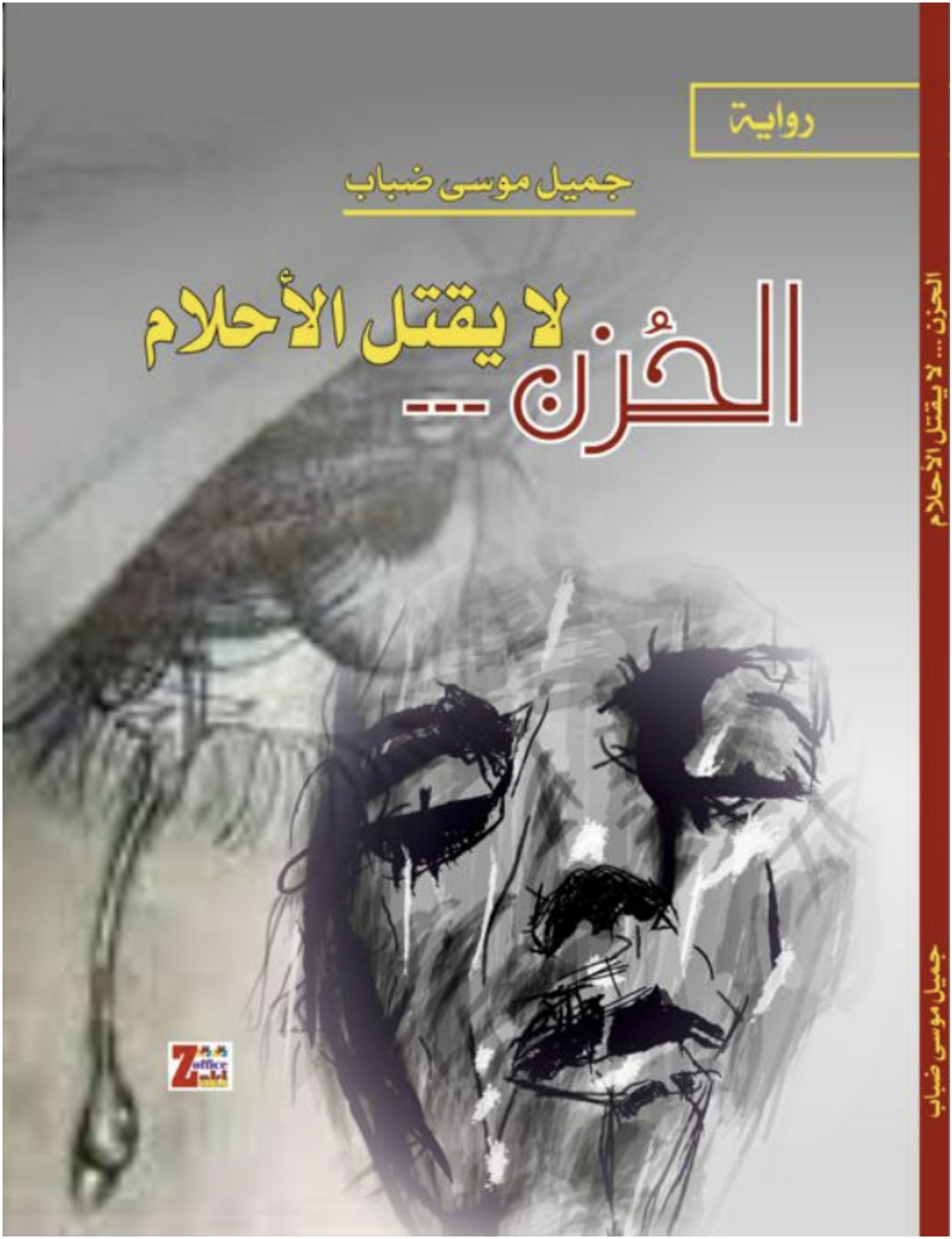

الحزن... لا يقتل الأحلام
جميل موسى ضباب

الحُزن..لايقتل الأحلام

جميل موسى ضباب

بغداد / ٢٠٢٢

٣٤٥,٠١

ض٢٢٢ ضباب ، جميل موسى

الحُزن .. لايقتل الاحلام / جميل موسى ضباب

بغداد : مكتب زاكي / ٢٠٢٢

( ) ص ، (١٥) سم

١- الحزن..أ . العنوان

م.و.

٣٣٨٦/ ٢٠٢٢

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٣٨٦) لسنة ٢٠٢٢

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

يمنع استنساخ او طباعة الكتاب او اي جزء منه من دون علم المؤلف\

الحُزن ...

لايقتل الأحلام

جميل موسى ضباب

بغداد ٢٠٢٢

إهداء ...

إلى... مَنْ ألهمني

أليكَ...

عسى الله ان يهدي اليكَ أبراراً في فترة من فواصل حياتكَ..

يمنحونك الحسنى ، ويرشدونك الى الفضيلةِ .

الصدفة

-١-

ضاق ذرعا ونفذ صبرا من زحام الناس وهم يتدافعون الى باحة المستشفى الواسعة عَبرَ باباً مفتوحاً على مصراعيه وفي خضم تلك الشائعات عن حدوث اصابات بمرض يجهل ماهيته وعلاجه .. احدهم يتأبط ملفاً يروم تسليمه عَبرَ شباك إحدى الغرف ، والآخر مسرع لياخذ مكانه ضمن تسجيل اسمه للفحص الطبي ، وتلك امرأه تتضجر من عدم الاهتمام بها ورعايتها لكبر سنها ، وأخرى تنزعج من حركة الناس الثقيلة وهي تتحاشى الاحتكاك بهم ، وطفل يبكي بحرقة قلب ، وشاب يتململ من تعليق إحدى ساقيه وهي مجبسة بجبس محكم ، كان المنظر كئيباً.

اخذ ركناً بعيداً عن كل هذا الضجيج وهو يجوب بنظره بأستغراب من وراء نظاراته الشمسية التي كانت متآلفة مع سحنته وهو بين اونة واخرى يمسحها بقطعة رقيقة من ورق النشاف لنضوح قطرات من العرق التي تتفصد من جبهته وهي تنفذ من خلال حاجبيه التي يقطبهما بين حين واخر لتفادي سهام اشعة الشمس التي تلقيها من بزوغها على واجهة البناية .

مازال ينتظر حتى بدأ زحام الناس يخف تدريجيا مع مرور الوقت بعد ان تفرق كل منهم نحو مراده . اقترب وهو يتهادى بمشيته حتى دَلَفَ الى ممر واسع يروم الدخول منه الى رواق على جانبيه عدد من الغرف معلّمة كل منها باختصاص موظفيها.. وعلى ابواب كل منها يتدافع عدد غير قليل من مراجعي المستشفى لشتى الاغراض .

* * *

كان معتادا ان يجري فحصه الدوري في اماكن مختلفة ، هذه المرة الاولى التي يزور فيها هذه المستشفى .. تنحى قليلا وهو يتمتم .. هل جئت في يوم غير مناسب او هذه الكثافة من المراجعين في كل ايام الاسبوع .. كان تقرير فحصه يتضمن اكثر من اختصاص ، وهذا التزاحم الشديد ولو كان يملك صبرا ، ولكن جسده الذي اتعبته السنين قد لايجاري ارادته . وهمَّ بالتراجع وئيداً ، واجال بصره واذا هو وجهٌ لوجه مع فتاة ، اثار اندهاشها واستغرابها .

- استاذي .. عساك بخير.. كم انا فخورة بأني إحدى طالباتك .

- استرجع ذاكرته .. هذا الوجه ليس غريبا .

- بادرته انا طالبتك (أحلام) كنت متفوقة في المرحلة الاولى وكان لك فضلٌ في تشجيعي ومنحتني استحقاقي كاملا في درسك .
- نعم اتذكرك وكنت اعلق على اسمك(لك من اسمك نصيب كل الأحلام) ولكن الاسماء تتزاحم على ذاكرتي يااابنتي التي بدأت تخونني .
- سألته بتذلل .. ممكن اساعدك استاذ
- جزيل شكري .. اخشى ان أُأخرك عن عملك .
- ابتسمت وقالت هذا من صلب عملي .. انا عملي منسقة في قسم الاشعة لتسهيل امور المراجعين اضافة الى أني مناوبة على جهاز الاشعة . سلمته استمارة ليدوّن فيها اسمه ونوع الفحوصات التي يرومها .

بادرته .. كم تمنيت ان اتصل بك عبر وسائل التواصل ؟ ولكن ترددت خشية عدم الاصغاء لما اتوق له .. قالتها بعينين واسعتين تشبهان عيني ارنب تشيان بذكاء .

- على اية حال يا ابنتي .. الان انا امامك .. انها الصدفة .. قد يسوقها الله لك لتكون مزنة خير .
- اتشرف بحضرتك استاذ .. وبأذن الله تكون هذه الصدفة فألاً حسناً.

- شرّفك الله وبارك فيك .

- اجلسته في غرفتها الصغيرة التي تحتوي على مكتبٍ خشبيٍ قديم ولكنه يبدو مرتبا بحرص .. تستقر على سطحه مجموعة من السجلات وعلبة صغيرة اسطوانية الشكل ، ثلجية اللون ، تحتوي على مجموعة من الاقلام كان اللون الاحمر سائدا .. وقبالته كرسي جلستْ عليه وآخر الى جانبه ، وتطل الغرفة من شباكها الخلفي على حديقة تسودها حشائش متناثرة واشجار مبعثرة وتشكو من عدم الاهتمام بها .

* * *

استقر في جلوسه على الكرسي في الجانب ، وهو منهمك باخراج توصية طبيبه ، كانت تراقبه من مكانها.. كاد يشعر بانفاسها ونبضات قلبها المتصاعدة وبنظراتها التي بدت تتسلق وجهه ..

- شكرا ابنتي أحلام ، اسعدت بلقائك ، فقط فحص روتيني معتاد عليه لمتابعة حالتي الصحية .

- وهل تشكو من شيء ؟

- لا .. ولكن متطلبات العمر ، بدا كل شيء في اجسادنا ينخره التردي .
- ما شاء الله استاذ ، انت في قمة عطائك .. واهتم بمنشوراتك المتنوعة بشغف .
- تناهى صوتها الى مسمعه بوضوح ، اشكرك على متابعة نشاطاتي المتواضعة .
- وتابع بجذل : وماتاثيرها فيك ؟
- ارهف السمع لها وتمنى ان تقول مايزيد ثقته في ما ينشره .
- آه ياستاذ ، علمتني مهنتي كم من مراجعينا يحضرون مبتسمين في احشائهم مايفسد حياتهم .. واحيانا خلف الوجوه اسرار لايفقهها المبصرون ولاتتحراها اجهزة الاستشعار .. انه الحزن الغائر في اعماقنا .. كل شيء في داخلنا يؤول الى الانهيار فلا يخدعك وجهنا المبتسم .
- صادقة ، كانت كلماتها عميقة للحد الذي جعلته متيقنا كأنها لم تقل الا من اجله .

* * *

أنه .. الحزن

-٢-

انشغلت الفتاة بمتابعة المراجعين ، وكان حديثها مؤثراً ، وزاحم تفكيره كلامها عن الحزن ، ويتحدث مع نفسه سراً :

- أهو وهم أم حقيقة ؟
- أهو ألم يضرب اعماق الروح ويبعثرها بين اطياف الايام؟
- قد يكون نتاجاً لخطايا الروح أو الجسد أو كليهما ، وقد يمتزج مع سائل الحياة ليفسد كل زوايا الجسد ..
- أهو قلادة شؤم تعانق صدور البائسين ام معوذة نجاة تلف اعناق اليائسين ؟
- اذا كان الفرح يفصل الناس .. فالحزن يجمعهم ، واذا كان الالم يخص.. فالحزن يعم ..

وقد يكون الحزن هو الملجأ الاخير لجبر خواطرنا ليأذن الله أن يطهر مابأنفسنا لتنمو من جديد ازهار الاحلام وتنفث عطور الرغبات في اي من مراحل العمر . قد يكون هذا فاعلا في ربيعه .. عندما يتواءم العقل والرغبة في التحدي .

- من منا لم يشرخه نصل سيفه ؟

كل هذه الاسئلة شغلتهُ عن ما جاء بـه ، ولكنها لم تسهَ عَن مقصده فقد ادرجته ضمن قائمة المراجعين في الاقسام الاخرى كي ينتظر دوره .

وعاود التفكير كرة اخرى بالحزن ، واستسلم الى مابدأت بـه ، فهو عائش معنا كالهواء والماء ، وربما اصابها منه شرخ.. واستدرك انها شابة في ربيع العمر تتحدث بثقة العارفين تتحرك بخفة نحلة، وديعة كقطة البيت ، نسمة عذبة تطوف بين المرضى بهدوء الفراشة ، مالها والحزن ..؟!! .

* * *

حاول التخلص من استرجاعات نفسه ثم عاودته صورة الفتاة وهو يمط كلماته وتتمزق حروفها مدركا فحوصاته الرتيبه التي انجزها وكانت تبدو على مايرام ذ ، وتوجه صوبها وهي منشغلة ليشكرها لحسن استقبالها له ، تخلص من دائرة الاستحياء.. وطرح عليها سؤالا جريئا كان يشغله ..

- مالك ياابنتي والحزن .. معاذ الله ..؟؟

- اجابت بحسرة عميقة وبجزع مر وكأن كلامها يخرج من بين شهقاتها ..

- لربما وراء كل امراة ناجحة قلب مكسور ؟

- حدق في وجهها باستغراب ، خيرا يا ابنتي ؟

- ولدت على ارض متموجة والزمن الذي عليها نشاز .

- وجدت في اصغائه فرصة كي تطلق لسانها ، سوف اتصل بك لاحقا استاذ ، ممكن تعطيني رقم محمولك ؟

- بكل سرور ياعزيزتي ، وداعا ابنتي ..

- لن اقول وداعاً استاذي ، الوداع للغرباء ، بل نأمل اللقاء على خير، وهي تردد في سرها ، انه لقاء مؤثر .

- غادر وهو شغلته المصطلحات ، الحزن .. القلب المكسور .

* * *

الرسالة المفتوحة

-٣-

في يوم ما فوجىء برسالة مضمونها ..

استاذي العزيز .. أنا أحد متابعيك ، ويبهرني نشاطك واعجابي بديمومة عطائك ، كنت اتخيل جنابك من الذين فتحت عيونهم على السمن والعسل واللهو والدلال .. الا ان اطلعت اخيرا على كتابك (الحُلم .. ولد هناك) .

صُدمتُ ..!! بما جرفت الأيام والسنين من بخل وعجرفة وألقتها عليك من دون رحمة .. وأيقنت ان الله لن يسهو عن عباده.. اذا سلبت منك الحياة جميلاً.. اعاضك الله عنه بشيء أجمل .. وقد شجعني رقيق عرضك ودفء اسلوبك .. ان ابوح لك أوّل مرة مايختزن في قلبي الصغير من حزن لم يطلع عليه بشر إلا ربي ..

هل من الممكن تسمع حكايتي ؟

- احابها برسالة موجزة .. بعد ان همس نازعه بداخله .. ولما لا تتحقق من مرادها ؟ وكما قال ابن عربي (لاينال رضاه إلا من خالف هواه) .

- ابنتي العزيزة ..

اشاركك همك بكل إعتزاز(وهو لحد الان لم يتيقن من حزنها بل يجاري عواطفها).. ولكن اخشى اني الم أصب مايرضيك.. كان أنتاجي ، هو تجربة شخصية وكنت مترددا في اصداره ودفعت لهذا العمل رضاءً لرغبة هواجسي ..

تحياتي لكِ ..

استاذكِ ...

* * *

- ردت عليه بروح المتيقنين .
- استاذي ، شجعتني عبارتك في احد منشوراتك ردا لجميل اصدقائك (قد يهديك الله بفترةٍ من فواصل حياتك بأبرار يمنحونك قوة ترشدك الى الاحسان).. وانت على يقين من ذلك.. ولو علمتنا الحياة لا يملك احد وقتا يستمع الى هموم الاخرين الخاصة إلا نادرا .. ولكن عسى ان تجد في حكايتي ما يثير اندهاشك ؟
- فتكلم الكاتب الذي يسكنه .. عسى ان تكون محقة ، فاخذ يدقق كلماتها ، انها تجيد تقليده وكأنما سرقت قلمه !!

* * *

وبدأت الحكاية

-٤-

من أين أبدأ؟ .. من نكد السنين وغضبها.. من طفولتي التي جفت اوراق ربيعها وألتهمتها نار الطائفية البغيضة ونُزحت بسببها مع عائلتي من مدينة طفولتي بغداد ..

أو من محنتي التي شُردت بها من مدينة الموصل في ليلة مشؤومة حالكة الظلام ، وخسرت فيها كل شيء..زوجي ووالده وبيتي ، تحت سيطرة تنظيم داعش وأدعائهم تعاليم لم ينزل الله بها من سلطان .

أو أحكي لك عن ظروف زواجي المبكر.. تحت غمامة الجهل والأحتيال ، وفيه فضلته على مستقبلي الدراسي الذي حلمت به كثيراً ...

إنها سنين بائسة إكتنفها حزن مقيت . أنا مؤمنه برغم أن الفرص لاتسترجع بعد ضياعها .. ولايمكن عودة الزمن بعد مروره .. ولكن أعتقد لدي من الشباب بقية أتوسد فيه الأمل قبل رحيله .. ومؤكد وراء كل غيمة سوداء سماء زرقاء .. ولي في الطيورعبرة .. تسافر في الارجاء تسعى للرزق والأمان برعاية الله.

وأنا أبحث عن حلمي بين ركام كل هذه الأحزان برغم جراحاتي ..

وكما يقول الشاعر :

دَعْ المقاديرَ تجـري في أعَنتهـا ولا تبـيتنّ إلّـا خـاليَ البـالِ

ما بين غَمضةِ عَين وانتباهتها يغيّر اللّه مـن حـالٍ إلى حـالِ

وعلى أية حال بدأت أكتب لك يا أستاذي .. وهذه حكايتي..

* * *

مدينة الحلم

- ٥ -

ياسين شاب طموح بدأ كفاحه وهو في سلك العسكرية التي اجبرته الظروف ان يمتهنها على غير رضاه تم اختياره احد عناصر فصائل القوات الخاصة للياقته البدنية حتى حصل على رتبة نائب ضابط .

كانت ثكنته العسكرية شبه ثابته في مدينة الموصل ، احيل اليها لاصابته بكسر في إحدى قدميه نتيجة انقلاب عجلته نوعﷺايفاﷺ عند تأدية الواجب .

دعاه صديقه يونس في يوم عطلة ، وهو من سكنة مدينة الموصل ، يملك سيارة نوع لادا روسية الصنع ليصطحبه معه لقضاء يوم ممتع في منطقة الغابات السياحية ، التي تتزين بحلتها الخضراء شرق نهر دجلة يفصلها عن ضفافه شارع أنيق بطول ستة كيلومترات ، تنتشر على جانبيه الكازينوهات والمقاهي التي بعضها مفتوحة على النهر مباشرة ، وثمة طيور البطً تسبح قرب ضفاف النهر ، وأسراب الحمام تفر وتتبادل الاماكن مع العصافير ، والعوائل ترغب ان يكون نصيب لها من هذا المكان التي يشم

الجالس فيها ، عبق دجلة المزوج بروائح اللحم المشوي ، والسمك المعروف (المسكوف) على الطريقة البغدادية . جلسا متقابلين على مائدة مخصصة لشخصين وهما يستنشقان رائحة مهدئة يحملها هواء خجل واخرى منعشة من عبق الزهور المتناثره على ضفتي النهر ، تحفز ياسين ان تصيبه نشوة كان يفتقدها ، ويونس يتحدث دون توقف مما يجعله يستفيق من نشوته وهو يصغي له بلا ملل :

- آه ياصديقي..مدينة الموصل ...!!

مدينة ذات وداعة وصفاء ، مستسلمة للسكون ، تكاد تغرق فيه ، متآلفة مع اهلها الطيبين ، تمثل العالم القديم، فيها اقدم المساجد والمآذن والكنائس والاديرة ، سماها العرب ﷺ بالحدباء ﷺ نسبة الى تحدب مسار نهر دجلة وفي جامعها الاثري ﷺ النوري الكبير ﷺ مئذنة الحدباء . تتكون بشكل رئيس من الجانب الايمن من نهر دجلة وهو اصل المدينة ويمتاز بأحيائه القديمة ، ومساكنه المتقاربه ، وازقته الضيقة ، والجانب الايسر يضم عدداً اكبر من الاحياء اشهرها حي الزهور .

كان يوما جميلاً مشمساً بدد فيه ياسين أعباء ما اثقلته الايام ، الا رياحاً غربيةً جافةً ارسلها فصل الخريف الذي نشر

سحبه المتقطعة ايذانا ببدء حلوله ، ومن المتعارف عليه ان هذا الفصل يجلب معه الاكتئاب المسمى بالاكتئاب الموسمي لان الطبيعة تبدا تتخلى عن مكوناتها وتبهت فيها الالوان ، وقول احد الشخصيات العظيمة ﷺ اياكم وهواء الخريف فانه يفعل باجسادكم كما يفعل باوراق الشجر ﷺ ، ولكنه في مدينة الموصل كان متصالحا مع فصل الربيع وقد يسميان احيانا التوأمان ومنهما جاءت تسمية الموصل (مدينة أم الربيعين) .

* * *

كان صديقه يقود سيارته ببطء عند العودة كي يجعل ياسين يمتع ناظريه بهذه الاجواء الربانية التي قد حرم منها على مضض لانه متقيد بنظام عسكري صارم ، وهما يسيران في طريق واسع جميل المناظر يؤدي الى الجسر الرئيس ، فوجئا باشارة من رجل ركن سيارته جانبا ، تجاوزاه قليلا ، ونظر له يونس عَبرَ مرآة السيارة ، فجأة توقف على الحال وتراجع قليلا وأصغى للرجل واخبرهما بانه توقفت سيارته فجأةً ، ترجل ياسين وتوجه الى السياره مسرعا وتبعه صديقه واصلحا العطل وكان

بسيطا ، ومن تبادل الحديث معه عرفا اسمه(حاج عبد الله) ويملك محلاً لبيع القماش في مركز المدينه .

وهما يرومان المغادرة تفاجآ بعائلة الرجل من خلف الاشجار جذبهم هدير محرك السيارة الذي بدا عاليا عند التشغيل تتقدمها شابة مليحة طرية تحاول ان تمسك ثوبها بيدها اليمنى إذ اخذ النسيم الخفيف البارد يداعب اطرافه متمسحا به ، ويدها اليسرى تتحسس الرباط البلاستيكي الذي اخذ يتراخى وهو يمسك شعرها من الخلف فكانت مشغوله بين هذا وذاك لم تهتم بما يدور حولها ، اتسعت عيناه في دهشة لهول انبهاره وكأنه لم يرَ فتاة غيرها ، تسمرت عيناه ، وحدق ، ولم يتكلم ، وكاد ينسى نفسه حتى اشارة من صديقه ارجعته الى رشده ، خجل في حينها واعتذر منه لأنه بغير ارادته ، وحالما استقرا في مقاعد مركبتهما عاتبه يونس برقة ..

- لاتؤاخذني ياعزيزي ، اندهاشي من المنظر أثار غريزتي النائمة ومنحني احساسي ، شعوراً كأن رائحة الحياة تفوح من جسدي ، ثم خيم صمت مطبق عليه .

كانت حوله أينما يدور ، أينما ينظر، صورتها قائمة على كل المناظر كأنها امتلأت بوجهها وقد أصبحت المدينة كلها وهي قلبها .

* * *

الأرق المزعج

- ٦ -

التحق ياسين بوحدته عند المساء مهموماً مشغولَ الذهنِ ، كما اعتادَ أن يحمل معه اطيب الحلويات الى صديقه سعيد الذي يشاركه الغرفة (التحق قريبا الى هذه الثكنة) من محل احمد الحلواني المشهور في الجانب الايسر من مدينة الموصل . حاول سعيد ان يمازحه ولكن هذه المرة لم يجده كما هو ، فبادره بسؤال :

- كيف رأيت المدينة اليوم ؟
- فتنهد واجاب بحسرة ، وراح يشرح له عنها وكانه يلتقي بصديقه لاول مرة ..
- شوقتني اليوم على غير عادتك ؟
- ضحك ياسين بملء شدقيه واجابه بتنهد عميق .. سوف تكون اول المدعوين اذا تحقق حلمي الذي ولد توا..
- أهذه أحجية ؟ أم تمنٍ ؟
- لاهذا ولا ذاك .. انها احلام .
- كيف ياصديقي ؟

- كنت رافضا لفكرة الزواج كما اخبرتك .

- وما حدث اليوم ؟

- باغتني سهم الهوى من فتاة فاتنة .

- كيف جرى لك وانت على عجل ؟

- سهم لحظها جعل كروم حبها يختمر في جنباتي ، وبدأ يورقني سعير عشقها بين اضلعي .

- انت جاهل في معرفة طلاسم الحب والنساء وتفسيرها .

- الذي يحب ، لايعرف المكر بل يعيش ببراءة ، راعي الاغنام نهارا يحلم ان يجني زبدا ، اما النساء اوافقك الى حدا ما ، قد تتشابه في العموميات ولكنها تختلف في التفاصيل ، يسعد من يحسن التعامل معها ويهوى من يسيء فهمها .

- احكِ لي حلمك

- حدث لي ان ارى ملاكا يتهادى على الارض ما كنت انتظره و....!!

- اراك تمعنت النظر بها طويلا ؟

- لا.. لمحة خادم القصر لاميرته .

- اخشى عليك ان تعيش حسرةً وكمداً .

- الأقدار يسيرها الله ويهديها لعباده وانا على يقين مثلما ألهمني هذا الشعور اليوم يجد لي مخرجا لاظفر بما اتمناه.
- اقرأ المعوذات من القرآن الكريم ، واهدأ للنوم ، غداً لدينا واجب عند الطريق العام المؤدي الى مدينة دهوك ، تصبح على خير .
- نوما هنيئا .

لم يستطع ياسين النوم بل اصابه ارق أحمق كأنه تناول حبوبﷺالكبتاجونﷺ المنبة ، وكان يردد شعر المتنبي :

لعينيك مايلقى الفؤاد وما لقي ... وللحبّ ما لم يبق متّي وما بقي وما كنت ممّن يدخل العشق قلبه ... ولكنّ من يبصر جفونك يعشقِ .

* * *

استعان بصديقه يونس على كيفية التعرف على حاج عبدالله ، وفي يوم اخبره يونس ، انه يروم شراء قطع من القماش ويصحبه معه ، وبعد جولة في سوق القماشين حتى اهتدى الى محله . كان محل حاج عبدالله ياخذ ترتيباً مهماً بين محلات بيع الاقمشة في السوق الرئيس من مدينة الموصل وبحجم مناسب على شكل مثلث اقرب من الاشكال الاخرى ، قاعدته هو واجهة المحل مما يعطية جاذبية لا تقاوم من المتسوقين .. تعلوه نشرة

كهربائية تلقي باشعتها على الوان الاقمشة المتدرجة من الاسود الحالك الى الابيض المتوهج ، وتظهر الالوان فيما بينهما بحلة تبهر الناظر ، كما تزهر اوراد الربيع تختلط مع نداءات الباعة .

سلَّما عليه ورحب بهما وكرر شكره لمساعدته في ذلك الموقف، واردف يونس بلهجته الموصليه انه بحاجة الى بعض القماش ، ابدى حاج عبدالله سروره لتلبية طلبه .

اخذ ياسين يتردد على حاج عبدالله صاحب محل لبيع القماش وفي حينها اصبح مسؤول حانوت الثكنه مما سهل له النزول اليومي الى المدينة .

* * *

اللقاء الأول

-٧-

ياسين شاب حلو المعشر ، لبق الكلام ، صاحب فطنة ، عند اجازته اخذ يزور الاماكن الخاصة لبيع الاقمشة في اسواق الشورجة في مدينة بغداد ، وجمع نماذج من انواع مختلفة من الاقمشة ودوّن اسعارها وعند التحاقه عرضها على الحاج عبدالله ، ليس طمعا بالمنفعة المادية بل بادرة خير يحاول التقرب بها منه وكسب وده .. ووجدت هذه الفكرة عند الرجل قبولا حسنا ووفر عليه وقت السفر الى بغداد كمركز تجاري وتحديد المصروفات وسارت الامور بصفاء ، فكلما تمر الايام تتعمق علاقته بالرجل وينال ثقته ورضاه .

كل تلك الفترة وياسين لم يَطِبْ له خاطر مما اصابه من ألم خانق واضطراب عاطفي لم يترك مجالا للشك في الحب الذي وقع فيه .

* * *

مُنح ياسين اجازه غير استحقاقه وفيها تعلق القمر الذي لم يكتمل(باتجاه طور المحاق) ليعلن ان الوقت متاخر وسارع باتجاه

مركز المدينة بين نداءات الباعة وقرقعة حوافر الخيول التي تجر العربات وهي تغادر السوق الكبير ، تجاوز ذلك حاثا خطاه على الرصيف متوجها صوب محل حاج عبدالله، وبهت عندما وجده مغلقا ، وفكر هنيهة وقرر ان يزوره الى داره التي تبعد ربع ساعة في السيارة .

كانت المرة الاولى التي يزور الرجل في بيته ، الذي كان واضحا ومميزا في حي يكتنفه هدوء رخيم ووقف امام الباب مترددا بعد ان احتوى راسه بين راحتيه ، وخفق قلبه وتسارعت دقاته وتراجع ليمسح حبات العرق من جبهته ، وفكر ان الوقت ليس من صالحه ، وشحذ همته ، تجرأ ان يطرق الباب طرقا عاليا بيده ولم يحصل على اشارة الرد ، فتنبه الى الجرس الكهربائي في الاعلى فضغط على الزر وهو منهمك التفكير .. فتح الباب واذا بشابة ترتدي خماراً أبيض كانت متهيئة لاداء فريضة صلاة المغرب .. ارتجف خافقه كسعف نخلة وفقد الاثنان الكلام.. هو ذهب به التفكير ، أهي مرامه ذات العيون السود؟.. وهي تنتظر ان يسالها غايته ، ثم استفسر عن حاج عبدالله فجاء ردها بصوت عذب لينا رقيقا ممزوجا بابتسامة خجلى انه لم يَعُد للبيت هذا اليوم لحد الان ، في حينها تيقن انها هي باحساسه بعد ان خذله ناظراه ..

تشجع ان يوضح لها سبب مجيئه حتى عرف اسمها(نورا) ، كانه لم يسمعه بل طبع على لوحة جنباته .. اسم يدل على الجمال والدلال ، غادر البيت مسرورا .. انها صدفة جميلة لم يحتسبها ولم يخطط لها وحتى لو سعى لها لم يصب منها كما جرى ، وغادر وهو يردد (لاشيء اعظم من نِعمة الحب).

* * *

اصبح ذا خبرة بانواع القماش واسعاره بوقت قصير جدا ويدرك اذواق الناس في مدينتي بغداد والموصل وما يستهويهم حتى النادرة في الاسواق كان يوفرها من عدة مصادر مما زاد اعجاب حاج عبدالله به يوما بعد يوم .

وثق حاج عبدالله به حتى كان يكلفه بالبقاء بالمحل عند غيابه عندما كان ياسين لديه فراغ لانه ليس لديه ابناء كبار اكبرهم نورا في المرحلة الرابعة ثانوي ، وكانت متعثرة في دراستها. وتكررت هذه عدة مرات مما اطمأن له ولأمانته ولمس ذلك بحذاقته ..

* * *

الخبر السعيد

- ٨ -

اخذ ياسين يفكر بالارتباط بجدية بنورا .. وجس نبض والده الذي كان قريبا له وودودا معه غير انه ذكّره ببنات جميلات من اقاربه وجيرانه في مدينة بغداد ، وكان ياسين يسدل جناح الذل لابيه ويستلطفه ويترجاه ، ويذكر البنت وعائلتها بعالي الخير ويمازحه(عين الحب لاترى الا المحاسن) ، مما بدت حنايا والده تلين حتى اذعن لمراده على مضض .. وتناقشا على تكاليف الزواج والسكن في الدار وما يحتاج إليه .

كان مترددا ان يخبر امه ، ويتوقع أن لاينال رضاها مهما عمل، لانه ليس على وفاق معها واجتهد ان يسكت غضبها ولم يحصل على شفيعٍ منه .. وله تجربه سابقة معها ، انها كانت ودودة مع اخيه الاصغر دونه .. وكان امتهانه للعسكرية لهذا السبب .. وهو يدرك حين تعلم بمشروع زواجه سوف تصوب نحوه وابل اللوم وتنعته بشتى النعوت .. ولكنه استدرك عسى الله ان يلهمها غير ذلك .

* * *

عند جلوس ياسين في محل حاج عبدالله على ظهر تخت قصير يبصر عن بعد حاج احمد وهو في محله الذي توثقت علاقته به ، وهو رجل كبير السن من اصحاب محلات القماش من نفس السوق وكان شديد المعرفة بحاج عبدالله مما جعل يفكر مفاتحته بمشروعه .

يتابع ياسين اخبار نورا ومنها الدراسية وكانت في تلك السنة لم يحالفها الحظ في تجاوز مرحلة الخامس ثانوي .. وكانت فرصة ان يتقدم لها.

* * *

بدأ يفكر جديا واستعاد ذاته وتوجه الى محل حاج احمد الذي كان يتربع على دكة وحياهُ تحية مسائية ممزوجه بجمل من التقدير التي يطعّم بها كلامه .. وحسسه انه بمكان ابيه وبين له علاقته بحاج عبدالله الرجل الطيب وموثقيته به ، ويروم الارتباط ببنته البكر ، وكان حاج احمد مصغياً بكل مشاعره .. وانهى كلامه .. لم يرد عليه الرجل مباشرة مما جعل يراجع ماقاله ، فاجأه الرجل وقال :

- لم يجد حاج عبدلله عريساً لابنته افضل منك ، انه يفتخر بك ولم يرَ منك الا الخير.. باذن الله نقوم بما يرضاه الله .

غادر ياسين مرتابا لم يستطع هضم كلامه لشدة صراحته ومفاجأته ، لم يكن يتوقع أن يسمع هكذا رد ، واستدرك ان حاج احمد رجل معروف عنه شديد المراس لم يداهن في مثل هذه الامور.. لم يتردد في تلك الفترة على محل الحاج عبدالله خجلاً او يكون الرد غير سار .

تمتع باجازة اعتيادية وتشاور مع ابيه بأمور الزواج وأولها مفاتحة أمه ، وتبرع أبوه أن يتولى ذلك ، واخذ يتدرج اقناعها وتبارك ابنها بذلك ، غير ان ملامح الغضب بدات واضحة على ملامحها ، وازمت شفتيها واخذت تتمتم بكلمات غير مترابطة ولكن مضمونها رافضة تماما هذا المشروع بحجة السكن غير مناسب ويحتاج وقتاً للتهيؤ ، انسحب ياسين بهدوء وبقى يتواصل مع والده ووعده ان يقنعها .

❊ ❊ ❊

ألتحق بوحدته العسكرية وبعد يومين زار حاج احمد ليتقصّى منه الأخبار ..

- كيفك عم حاج احمد ، قالها بحنجرة مرتجفة تكشف عن قلقه رغم ثباته خشية مما يسمعه .

- اهلا ولدي ياسين وهو مبتسم واشار له بالجلوس .. واوصى له بكاس شاي وكان موسم الشتاء ينفض ثوبه الثقيل ، واخذ يرتشف شرابه ببطء حتى يفرغ حاج احمد من عمل انشغل به حال جلوسه ، ووجد نفسه امام حالة لم يمر بها سابقا .

حاول عبثا ان يسال حاج احمد عن حركة السوق ولكنه وجد جوابا موجزاً غير ما اعتاده منه كل مرة .. ثم فرغ حاج احمد من انشغاله والتفت اله واعتذر منه ، وجلس نحوه ، وبدا يسترجع ذكريات زواجه في الايام الخوالي والصعوبات التي اعاقته وكان يراعي العائلة التي منحته صفة الصهر والارتباط بها ، ورغم ذلك فانه بالتصميم والتحدي وصدق النيّة لجم كل الافواه التي تشكك في تحمله ثقل الزواج الذي منحه حياة هادئة وابناء رائعين .

ابني ياسين : الزواج ليس تجربة تختبرها وتتجاوزها، او لعبة هواية تستغني عنها عندما تجد افضل منها ، او مزحة جميلة تفقد نكهتها بعد حين .. بل الزواج عبق الرجولة التي يتغنى بها اصحاب الموثوقية وهو ادمان انساني على الاحسان ليلا ونهارا ، و جذور للاغصان تختفي تحت ظلها كل المواجع وتغني

عليها كل بلابل الفرح والمسرات ، واسماها الرحمن(الميثاق الغليظ) وهو نعمة كبرى وسنة الله على الارض .

ابني ياسين حصَّلتُ لك موافقة حاج عبدالله على الأقتران بابنته البكر وهي أول فرحة له وكان متردداً رغم معرفته بك وباخلاقك ولكنني طمأنته وبددت قلقه ولو كان مشروعا . ولكن له شروط ..

منها حضور اهلك للتعرف عليهم ، ومدة الخطبة لاتقل عن ستة اشهر .

كظم حزنه من الشرط الاول لانه يعرف أمه وهي تحاول تنغص عليه كل شيء بدون سبب أما الشرط الثاني فكان يروق له.

لملم افكاره وابتعد عن دلع الشباب وبدون اصطناع او افتعال قال :

- اعترف لك بجمال فضلك وبكرم حاج عبدالله وهذا دين في رقبتي مادام في الحياة بقية ، ودفعه حياؤه أن يغالي بمدحه لهما ، وحاول أن يلجم رغبته في مواصلة الحديث بل يبقى مصغيا الى مايرغب في التكلم حاج احمد . علا وجه حاج احمد علامات الرضا والارتياح مما ماتفوه به ياسين .

هنا اصبح ياسين وجهاً لوجه مع الحقيقة ، كل شيء يدور حوله .. ذكرياته ، طرافته ، عبثه ، وكانت الساعة تشير الى وقت الصلاة ، كانت لحظة تصالح مع النفس اخذ طريقه الى جامع ليس ببعيد .. وادى فريضة الظهر شاكرا الله على نعمة الهداية وتثبيت جنباته على رضاه .. غادر الجامع الى صديقه يونس ، لم يسعفه الحظ ان يلتقيه في هذه اللحظه هو أحوج مايكون فيها إليه من اي وقت آخر .

* * *

حُلم الزواج

- ٩ -

قَفَلَ عائدا عند المساء الى ثكنته تختلج في ذهنه افكار متزاحمة بين فرحة غامرة من الخبر السعيد الذي زفه له حاج احمد وبين تصلب امه وعدم قبولها عندما يصل إليها خبر خطبته ، وجلس بين رفاقه في الثكنة وكلٌ منهم يدلي بدلوه فمنهم من يسرد قصة تريح اعصابه والاخر يعزز ثقته ومنهم من يذكره بممانعة امه بدون مسوّغ وكأن الامور ترتبك عنده من جديد .

في الصباح بعد انتهاء توزيع الواجبات اهتم ببزته العسكرية وقدم طلباً لمقابلة آمر الثكنة وتحقق طلبه وحضر امامه بعد القاء التحية العسكرية بهدوء لاصابته وشرح له ظروفه وكان آمر وحدته متعاطفا معه الى حد اسعد خاطره ، ومنحه اجازه يرتب بها امور الخطبة ، وترجى منه ان يكون ضمن الرجال الذين يحضرون الخطبة ، ولم يمانع آمره لأنه كان راضياً عنه من مدة خدمته في الثكنة .

* * *

تمتع باجازته عندما كانت الشمس عمودية ، كانت واجهته مركز المدينة ، وفكر ان يزور حاج عبدالله ويشكره على قبول مصاهرته ، ولكنه لم تطعهُ فطنته وخشى ان يحدث مالايرضاه وغير رأيه ان يزور حاج احمد واخبره انه تمتع باجازه ليحضر اهله ، وسر حاج احمد عندما سمع ماينويه وبارك له .

استقل مركبة من نوع الباص الكبير وانطلقت الساعة الثانية بعد الظهر من مدينة الحلم (الموصل) وهي تسارع الزمن باتجاه الجنوب ، وهو لم يغمض له جفن رغم التعب بل تزاحمت افكار غير مريحة مرة اخرى ، وهو يعيش حالة قلق لم يشخصه ولكن رضا والدته عن مشروع خطبته يؤرقه جدا رغم جهل السبب وكيف يتصرف وهو في حيرة بين رضا الله من رضا والدته وحلمه المشروع الذي يوصي به الله .

وهو بين هذا وذاك انحرف سائق المركبة بعد ان قطع نصف المسافة ، يمينا عن الشارع العام عند ساحة كبيره تتوسطها بوابه متوسطة الحجم مستوحاة من اثار اشور معلّمة (هنا استراحة المسافرين) ايذانا بالنزول من المركبة.

شغل نفسه باحتساء كوب من الشاي وانفرد جالسا يتطلع المارة وهو غارقٌ في التفكير حتى قطع عليه خلوته صوت من

جانب المصلى شخص بزي عسكري واذا هو ابن خالته محمود مجاز كذلك في ذلك اليوم من وحدته المكلفة بحماية مصفى بيجي .

نهض ياسين فرحا بهذا اللقاء غير المتوقع .. وفجاة لمع اسم خالته ام محمود في باله .. ام محمود امراة هادئة قليلة الكلام تختلف عن امه بكل شيء غير ان نوبات الحساسية المفرطة في القصبات الهوائية لم تهادنها بل لم تفد معها الادوية المعروفة الا مؤقتا .. استقبل محمود بحرارة لأنهما كثيراً ما يختلفان في موعد اجازتهما وبعيدا السكن عن بعضهما.

- ما أهمية وجود وحدتك في هذه الصحراء الملتهبة ، التي تعلوها الاتربة ، تصفعها الأهوية ، تديم لونها الشمس ؟
- انها اكبر محطة تصفية لانتاج اهم مشتقات البترول التي تزودها ابار كركوك وذات الاهمية الاستيراتيجية في الصناعة ، وتوجد فيها عشرة بويلرات(محركات حرارية) لانتاج الطاقة الكهربائية المستغلة منها اربعة مستعملة والباقي فائض رهن الاستعمال عند الحاجة .

لم يسعفهما الوقت ان يتحدثا كثيرا لان مركبة محمود على وشك الانطلاق ولكن تواعدا بعد يومين ان يلتقيا في دار محمود ، كان هذا اللقاء مذهلا له لم يفكر في يوم ما بخالته ام محمود التي

تكبر امه بسنوات وعلاقته بها وبابنائها طيبة ، برغم أنهما لم تتزاورا كثيرا ، لانشغال الجميع بما تفرضه عليهم الايام .

احس ياسين ببريق امل ليكسب رضى والدته من خلال خالته .. اشار قائد المركبة بالرحيل متوجها الى مدينة السلام(بغداد) سحبت الشمس خيوطها الحمر لتسكن في موضعها الغربي وهم على مشارف بغداد وتراءت ارضها وانوارها تخفق في السماء فبعض ركابها نزلوا عند التقاطع الرئيس للجسر الحولي شمالي مدينة بغداد ، والاخرون في مرآب العلاوي عند مركز المدينة .

* * *

رضا الوالدين

-١٠-

وصل ياسين إلى داره الكائنه في حي اليرموك بعد ان استقل سيارة اجرة ، وحين دَلَف الى داخل الدار واذا هو امام أمه وبادرها بتحية حارة وقبل يدها وهي مكتظمة ردت عليه بكلمات معدودات وباردات ، لم يهتم كثيرا مما بدر منها كأنه معتاد عليها، ودخل غرفته ولكنه تفاجأ ان غرفته اصبحت شبه مخزن ، تدارك الموقف ورتب غرفته من جديد ودخل على والده في غرفته وكان جالسا على سجادة الصلاة ، منتهياً توّاً من اداء صلاة العشاء .. جلس امامه جلوس القرفصاء وقبل يده ، وبادره والده بصوت رهيف :

- كيف كان موضوع الخطبة التي حدثتني عنها ؟

- فاتحت والدها وحصلت الموافقة وبشروط

- وما هي ؟

- الاول ان تحضروا عند الخطبة

- هذه من الواجبات وليس شرطا

- وكيف تقتنع والدتي ؟

- دعها لي

- وتكون مدة الخطبة ستة اشهر

- وهذا طلب مشروع

- شكرا أبـي اثلجت صدري ، اسال الله ان لايحرمني من عطفك وقبلّ رأسه ويديه .

- تفاءَل بالخير ياولدي

غادر غرفة والده وعلامة الفرح تلمع بين عينه الا لمحةً من أمه وهي في المطبخ فافسدت فرحته بكلمات عكرت مزاجه ، مضمونها انت لاتتحمل المسؤولية .

* * *

في اليوم التالي ، زار خالته ام محمود ، وفرحت به كثيرا وسرها بأنه يروم الزواج من بنت احبها من مدينة الموصل ، ويلتمسها ، ان تكلم أمه ليكسب رضاها ، واتفقوا ان تزور والدته عند المساء مع ابنها محمود .

عاد الى بيته بعد ان التهم وجبة الغداء على عجل عند بيت خالته ، وبقي يترقب وصولهما ويقرا في بواطنه ايات من القرآن التي تهدي والدته بالرضا على مشروع العمر كما كان يدعيه ،

وفعلا وصلت بعد صلاة المغرب لزحمة الطريق ، وتظاهر بانه يلتقيهم أوّل مرة واختصت خالته بامه في غرفتها وكان الحديث هادئا بينهما وهو دلف الى غرفته مع محمود .

وبهدوء تحدثت معها ام محمود : يا اختي لا احد يستطيع اختيار امه بل تفرض عليه ، إنما زوجة الابن هو الذي يختارها من بين جميع نساء العالم ، ليكمل معها حياته ، امنحيه فرصة وباركِي له عسى ان يجد سعادته معها ، وان كل شيء يهرم والايام تمضي ، ويبقى حبه لك مميزا ، زمّت الام بشفتيها وهزت راسها ، لم تعلمْ ان كانت تقصد ان تقول بها نعم ام لا ، وغادرتها وهي تجهل ماتكتنفه في داخلها .

وحاول عبثا ان يمزح مع محمود ولكنه كان يصغي بين الفينة والاخرى الى تلك الغرفة ، وكأن اجتماعاً مهماً يدور فيها ليناقش مصير الانسانية ، حتى نظر محمود في ساعته واشار لها انهم تاخروا فخرج من الغرفة ووجه صوته بهدوء الى أمّه ، وعلمت أنها إشاره للمغادرة ، ورافقتها والدة ياسين الى باب الدار وهو يتطلع الى محياها لم يرَ مايسره .

سار مع خالته ومحمود الى الشارع العام لكي يستقلوا سيارة أُجرة وأخبرته خالته ان يكون صبورا ويتحمل ما يصدر من أمّه وقالت :

ياولدي لا توجد أم في الكون تكره ولدها ولكن هناك اختلاف في التعبير عن حبها تجد بعضها سلسة رقيقة تجهر بحبها لولدها ، والاخرى كظومة عبوسة جافة وغيرهما بين هذا وذاك .

امك يابني عسرة التعامل ومُذ صباها ومن كنا في بيت العائلة ، ولكنها في لحظة تجدها حنونة طيبة فعسى يصيب حظك منها تلك اللحظات ، فودعهما وتمنى لهما السلامة على امل اللقاء بهما في مناسبة اخرى .

تحدث مع والده ، أن إجازته على وشك الانتهاء ، واخبره والده اذا تعذرت والدتك الذهاب معنا فاخبر عمك وخالك وخالتك واعتقد اذا كانَ الناس يرغبون بك ، لا توجد مشكله ، فراق هذا الرأي له . قصد الخاطبون مدينة الموصل ، وبعضهم يتوق ان يرى هذه المدينة أوّل مرة ، وحاول ان يجمع شتاته وان يكون لائقاً بنفسه وهو ينتظرهم بفارغ الصبر .

* * *

يـوم الجمعـة ، كـان يومـا مميـزا في حيـاة ياسـين ، فيـه اتفـق الجميـع ان يكـون يـوم الخطبـة الـتي جاهـد مـن اجلـها شـهوراً ، تم التعارف بين العائلتين واعتذرت خالته عن والدة ياسـين لاعـتلال صحتها ، سارت الامور طبيعية واتفقوا على اجراءات الزواج وشكر ابو ياسـين حـاج عبـدالله علـى كرمـه ووعـده ان يـرد هـذا بجميـل افضل .

بـدأ الليـل يغشـي النهـار حـين ودّع ياسـين أهلـه عنـد المـرآب الكبير وعاد وهو منتصر الى ثكنته حاملا كيس الحلوى الى رفاقه ، وسخّر ايامه الاتية شكراً وامتناناً لله .

* * *

الميثاق الغليظ

- ١١ -

بعد ان أنهى اجراءات عقد الزواج في دائرة المحكمة ، اخذ يجهز للزواج في كل اجازة وتردد على زيارة خطيبته حتى تعلقت به وقد اخذت تتصور الحياة معه بأنها حياة ترف ودلال بين صديقاتها اللواتي انهمكن بالدراسة عداها، لم تأبه بذلك وجعلت جم تفكيرها انها تأتزر صدرية الطبخ لتعد الاطباق الدسمة وتجهز بكل حب وجبة عشاء وترمي براسها على صدر حبيبها كطفلة حتى تنام ، واخذت تكتب مذكرات حياتها الجديدة واحلامها الوردية .

عبست الأيام في وجه ياسين وهجم عليه القلق الذي طرده قلبه وصرفه عنه بعد أن حقق اول خطوات مشروعه ، ولكن عكر صفوه مرة اخرى انه في كل اجازة يجد ما رتبه من تجهيز لوازم الزواج مبعثرا بقصد من والدته وتكرر هذا الموقف مرات وافشى ذلك لابيه الذي امتعض من تصرفها وعاتبها من دون ان تحيد عن ذلك .

اما خطيبته فبدأ حلمها يذبل يوماً بعد يوم وخاصة عند تجاوز الستة أشهر من يوم خطبتها بل تسعة أشهر حتى أصبحت تلام من اقاربها وصديقاتها مما دفع بها ان تكلف محامية تطلب الخلع .

علم بذلك ، وجن جنونه وأسرع في تجهيز غرفته على عجل وبتشجيع من والده ، وحضر الى دكان عمه حاج عبدالله واخبره انه على استعداد للزواج وحدد معه موعد بعلم والده ، وتم حجز غرفة في احد الفنادق المطلة على نهر دجلة .

حضر زفته من بغداد أبن خالته محمود وأبن عمه ليث وعدد من رفاقه من ثكنته في مقدمتهم يونس وسعيد ، كان مساءاً جميلاً من أيام نهاية الخريف ، كانوا يرددو بهازيج الفرح منها :

أول مابدينا .. على ألنبي صلينا حتى أوصلوه الى الفندق بموكب من السيارات وهي تطلق المنهبات بأعلى الاصوات ممزوجة بمرح وأهازيج أصدقائه .

* * *

الليلة السعيدة

-١٢-

في الليلة الاولى .. نظر من خلف نافذة غرفته وشاهد الأنوار الباهتة من خلف الستائر الرقيقة وبين الاونة والاخرى يسمع حفيف اوراق الأشجار عبر زجاج النوافذ .

- كان حلما أن أراك في مثل هذه الليلة ياحبيتي ؟

- هزت راسها بسرعة لتفادي السؤال غير المتوقع منه .. وابتسمت بود من ارتباك واضح وسرعان ماستعادت هدوءها ثم قالت ، للقلوب اسرارها ورسلها والحب يتكلم بلغة واحدة .

- هل تغفرين لي تأخر زواجنا؟.

- اجابته بخجل ، لا اعلم أتكون معي سيئا أم صالحا ؟ ، فانت اول رجلٍ قفز فوق أسوار قلبي ولكنني الذي عرفته اني احببتك وهذا يكفي أن أغفر لك كل شيء .

- نحن ليس بحاجة الى الاعذار فالحب يغفر دون اعتذار .

- انت لا تجيد الغزل ياحبيبي .. المرأة تتوق ان تسمع مايروقها من حبيبها ، ولاتحب الرجل الصامت في حضرتها ، ولكن اكتفي بعينيك التي تحكي لي .. وكلما نظرت لهما كانتا تخبراني بانك تحبني كثيرا ، وتجعلني اذوب في فنجانك كقطعة حلوى ، تقدم

لها بخطوات صامتة كتساقط الندى البليل واقترب منها اكثر حتى بات يرى نفسه في حدقتي عينيها ، حتى تخالطت انفاسهما ثم ابتعد قليلا .

- انا جاهدت حتى فزت بك وآمنت بأن الحب قدر لذيذ ، وانا شخص جدي .. الصمت هو ملاذي حتى يقرر الاخرون التحدث معي .

- ان كنت عاتبتك مرة على صمتك لم يكن اني لم احبك بل اريد البقاء معك .

* * *

- عند عصر اليوم الثاني ، بادرها ، ما رأيك حبيبتي اصطحبك بسفرة قصيرة الى مكان لقائنا أول مرة ؟

- بكل سرور غادرا الفندق عند المساء بعد ان استأجرا سيارة أجرة كانت متوقفة في باحة الفندق لهذا الغرض ، وترجلا عند وصولهما المكان وهما في حالة حبور .

- آه ياحبيبتي .. أني لا اصدق الحكمة التي تقول إن الحب أعمى .

- كيف ياحبيبي ؟

- الحب ليس اعمى .. صدقيني ، مشاعري نفسها التي رأيتك بها أوّل مرة في هذا المكان ، ولم تخذلني عيناي من أول نظرة

تكحلت بهما صورتك .. وأستطرد .. للحب عينان يرى بهما محبوبه على حقيقته .

وومض وميض في عينيها قائلة :

- هل توقعتِ ان نكون معاً مرة ثانية في هذا المكان ؟

- أوه ، انها الاقدار ياحبيبتي ، احيانا يسوق الله لك الرزق من دون ان تحتسبه عندما يجد عبده صادقا نقيا .. فاهدى لي هذا الملاك عسى ان استحقه .

وسقطت فوقهما الرطوبة الريانة والهدوء الرخيم وظهر الطريق ممتدا باتجاه غابة كثيفة استشعرا انهما وحدهما فقط في المكان ، وكانا يتمنيان ان يجلسا بين طراوة العشب ونداوة الخضرة ، لولا نسيم بارد قد بدأ يمر على صحارى جسدهما واخذا يرتعشان من البرد وارتدى كل منهما سترته التي خلعها بعد خروهما من الفندق ، مما جعلهما يعودان بسرعة وهو يعلل رجوعهما .. آه ياحبيبتي اينما يوجد الانسان يروق المزاج .

* * *

في اليوم الثالث توجه الى بغداد ، واستقبله اقاربه واصدقاؤه ودخلت العروس غرفتها المتواضعة التي اصبحت ملاذها الدائم ،

وكان ياسين شرح لها بكل صدق حتى لاتتفاجأ من تصرف والدته واخذت تتأقلم مع الوضع الجديد ، وتعاملت مع عمتها بكل ود حتى تتفادى اي احتكاك معها .

برغم كل ذلك لم تفلت من الكلام المنغص الذي تطلقه عمتها بدون سبب او تحاول ان تقلل من مكانة ياسين بعينها .

❊ ❊ ❊

الحياة الجديدة

-١٣-

استقرت نورا في بيت عمها متحملة على مضض مايبدر من عمتها لشدة حبها لزوجها ، وكان سببا يهدأ ما يوقد داخلها ، احست بثقل جنينها يوماً بعد يوم ، وزوجها اغلب اوقاته في ثكنته العسكرية فطلبت من زوجها ان تبقى الاشهر الاخيرة عند اهلها في مدينة الموصل .

بيت والدها ذو مساحة واسعة واجهته بناء متميز ، وجود ممر جانب الدار يؤدي الى بستان جميل يهتم به حاج عبدالله ويديره فلاح بأجرٍ .

اقترحت امها ، ان تتمشى يوميا بين اشجار البستان لكي يسهل ولادتها وخاصة هي الولادة البكر ، وعندها تفكر لماذا لم تلمس اي حنان من عمتها مثل امها وهي تحدث نفسها ، كل شيء ينقص بالقسمة الا السعادة فهي تسمو وتزيد عندما تغدو مقسومة على الجميع ، أهذا نصيبها ؟.. ام حظ عمتها العاثر الذي لم يهدها للحسنى او تركيبة سايكولوجية بين الزوجة وعمتها .

في الصباح الباكر وقد اوشك الشتاء على الأنتهاء من عام ١٩٩٣ ، أبعدت لحافها ووطأة الأرق عنها الذي رافقها من النصف الاخير من الليل بعدما احست بألم المخاض وهو يتدرج نحو شدته، فأقلتها والدتها الى مستشفى السلام في الجانب الأيسر من المدينة وادخلتها الى جناح الولادات وحجزت سريرها ، رُزقت نورا بطفلة جميلة شديدة الصراخ كانها تعاتب الجميع لخشيتها من هول الحياة وعبث السنين ولكنها هدأت بعد ان احتضنتها أمها وذاقت مضغة حليب ثديها .

كانت جدتها شديدة الاعجاب بطفلة عند جيرانهم ذات دلال وجمال تلفت انتباه الاخرين ، اسمها أحلام فاسرعت بالاتصال بوالد الطفلة ، زفت له خبر الولادة وانه رزق بطفلة سمّتها أحلام ، كاد يطير من الفرح عند سماع الخبر .. نعم ياعمتي انها أحلام قد اتخيلها .. هي هدية الرحمن لنا واتمنى تكون شبيهة امها .. شكرا عمتي واكون غدا حاضراً عندكم ... الله يجازيك عن جميل صنيعك .

* * *

اخذت نورا وقتا كافيا لاسترجاع عافيتها وتلاشت عنها كل ملامح الولادة ورجعت مع زوجها الى بيتها ، كان جدها مسرورا

بحفيدته الأولى من ابنائه ، ولم تكسب عطف جدتها الا بعد ان اصبحت تمشي وتدخل غرفتها مما اثار مشاعرها واصبحت تقربها وتعطيها يسيرا من وقتها .

ترعرت أحلام يحضنها الحنان ويمازحها الجميع ، طفلة جميلة كثيرة الحركة تتميز عن قريناتها بجرأتها ولباقتها وبضفيرتيها المجدولتين وألق عينيها ، مما جعل الاهل يمنحونها أهتماماً محبباً ويودونها حتى جدتها . ترافق أباها عند التسوق وهي تتأرجح في مشيتها وتتسابق معه وكل من يراها يراقب فرح وسعادة الطفولة يتطاير من حولها ، تمتلك ابتسامة منتشية وهي ترسم على وجهها الملائكي الذي تطغي علية عذوبة الجمال الفطري وهي تطلق ضحكاتها للهواء الطلق كأنها تريد ان تملأ ذاكرتها من الدلال برغم طراوة اجزاء بدنها خشية غدر الايام .

* * *

مدرسة أحلام

-١٤-

التحقت أحلام بمدرستها الابتدائية القريبة من بيتها وكان عمرها خمس سنوات اضطر اهلها ان يكبرّوها سنة حتى تقبل في المدرسة لانها كانت شديدة الذكاء .

كان اليوم الاول مفعما بالحبور وهي تلتقي باقرانها من الاطفال بكلا الجنسين ، واحتلت المقعد الامامي من اليمين ملاصقة لجدار الصف تشترك معها زميلة من ابناء الذوات ولكن اقنعتها بان يتبادلا المكان ليسهل عليها الحركة التي تكون صفة مميزة لها ، ظهرت بوادر الرسم مبكرا وهي في هذه المرحلة حتى كان اهلها يستشفون مايحدث لها في المدرسة من رسومها التي ابهرت الجميع برغم بساطتها ولكن لها مدلولاتها ، فقد رسمت اكثر من لوحة توحي الى المال كاشارة الى رغبتها الفطرية ان تتعلم ثقافة المال التي يعرفها الاغنياء دون الطبقات الفقيرة واصحاب الاعمال الشاقة .

* * *

بدأت رسوماتها يطغى عليها الوشاح الرمادي الباهت الحزين كلما تدرجت في دراستها وغادرت معظم الالوان التي تعطي الامل والتفاؤل وهذا قلل من انجذاب الناظر للوحاتها ما أثرّ فيها .

الحزن ان لم يكن ملهما يصبح عامل خمول يضرب في اعماق الروح وبدلا من أن يكون اداة بصر فانه يحد من رؤية المسافات القريبة ، وخُيل للناظر أن لوحاتها تتحدث ، كيف لطفلة بعمر الورد تتلقى هذا الحزن من بيئة كئيبة التي تطفىء وتلجم قدراتها ويصبح ضجيجا ينبعث من مركز روحها فتغدو ملامحه يلقي بغيومه على رسوماتها الخجلى ، ولو كانت مُدركة ماتعانيه لبددت همومها او تفصح عنها عَبَرَ اعمالها لتحاكي الناس بصوت مدوٍّ ، انقذونا من معانتنا وازرعوا العدل والانصاف والرعاية في الاطفال .

وبالتفاته ذكية وحنون من معاونة المديرة (السيدة بتول) وهي لها اهتمامات بالرسم وخبرتها الطويلة في التعليم :

استدعتها الى غرفتها وحاولت ان تغور في سبر مكنوناتها وهي طفلة في الخامس الابتدائي شفافة رائقة لم تجد صعوبة في كشف ستار ما تختزنه هذه الطفلة من ألم دفين يؤرقها حتى اصبح حاكما على كل تصرفاتها . كانت السيدة بتول مقتنعة ان

تعانية أحلام باي حال من الأحوال هو ارهاصات المُدرّسة من عدم مواكبة تفوق زميلاتها او لديها مشكلة في احد الدروس ولكنها فوجئت ، كانت تلميذة ذكية ومميزة الا بعض الاحباطات يُجهل مصدرها .

فبدأت تهتم بها ، وفي صباح احد الايام وهي تستقبل التلاميذ مبكرا عند الباحة الخارجية للمدرسة من دخولهم من الباب الخارجي ، لمحت من بعيد عند الجانب المقابل للشارع الرئيس أم أحلام واقفة تتابع إبنتها حال عبورها الشارع ، فاسرعت بمناداتها من بعيد ان تتجه نحوها كانت أمها، تجاهلت الأمر أول مرة ولكن الحاح السيدة بتول أجبرها ان تطيعها وهي مضطربة :

- صباح الخير .. خيرا .

- باذن الله كل خير..ممكن دقائق اتكلم معك في غرفتي .

- بكل سرور .

دُق جرس المدرسة إيذانا ببدء الدروس

- أنا أتابع أحلام من مراحلها الأولى..تلميذة ذكية ورسامة مبدعة وكانت مفعمة بالنشاط والحيوية وكثيرة المزاح هي الان غير ذلك..!!

- أشاطرك الرأي..اعتقد أنها بدأت تشعر بأنوثتها

- ممكن استفسرعن بعض الامور اذا سمحتِ على أن تصدقيني القول ؟

- بإذن الله عند ظنك .

- هل لها غرفة وحَدها ؟

- هل والدها على طول معكم؟

- هل تتوفر اجواء هادئة للدراسة ؟

- هل تتلقى العطف من جميع افراد العائلة ؟

- هل توجد منغصات تثير حنقها داخل العائلة؟

- هل تحصل أية مشاجرة في البيت على مسمعها ؟

- أجابت الأم على كل هذه الاسئلة ببساطة وصدق متناهييَن .. أنا وابوها متوافقان جدا وهو أب مثالي ولكن ظروفه لم تعنه ان يكون الى جنبنا ، فتحملتُ كل متطلباتها واختها التي تصغرها بسنتين .

- كيف علاقتك بأمه وابيه ؟

- أبوه رجل كبير السن متوازن ويحبني وبناتي وأعدّه ابي الثاني ، أما أُمه فكذلك امراة طاعنه بالسن ولكن لها لساناً سليطاً عملتُ جاهدة أن اكسب رضاها بكل الوسائل لم اجد منها غير الصياح

والغضب مني واحيانا يطول حتى بناتي مما يجعلنا اغلب الأوقات ننكمش داخل غرفتنا الوحيدة ...

- اصدقك ، الأطفال الواح حساسة تعكس كل انفعالات الايام ونكدها ويعبرون عمّا في خوالجهم بصور طبقا لشدة الموقف .

أحلام بنت حذقة رقيقة كثيرة التأثر بما تعانيه والدتها من ظلم جدتها حد الابتئاس .

الان ادركتُ هذا النكوص في سلوكها العام .. عديني ان نتعاون معا لادخال البهجة الى روحها الطرية .. وعدتها الأم على اَمل أن يلتقيا في المستقبل .

اعتمدت السيدة بتول على ثقافتها المتواضعة في مجال علم نفس الأطفال ، واستأنست بحديث الدكتورة (هيذر ماغواير) محللة السلوك واختصاصية علم النفس المدرسي المعتمد..كيف يمكن للوالدين تحفيز اطفالهم على التصرف بصورة أفضل ، ويجب أن لاتاخذ سلوك الطفل المتحدي على محمل شخصي مع أهمية تلبية الأحتياجات الأساسية له لدرء السلوك السلبي .. وهذا ما سبب التراجع في سلوك أحلام لعدم تلبية احتياجاتها . إن إعطاء الطفل جرعات يومية من الأهتمام الأيجابي كاللعب وقضاء الوقت معاً ، يمكن أن تقطع شوطا مهما في تقليل السلوك السلبي

وأوصت الأم إبعاد أحلام عن قاعدة الانضباط التي تتبع في البيت ليكون حافزا لها.

كانت أحلام تلميذة مميزة في المرحلة السادسة أبتدائية برغم تلك الظروف التي تخنقها احيانا حسرة لما تراه عند زميلاتها ، باختلاف مستوياتهن المعيشية ، زميلتها نور ، ابوها بمنصب رفيع في الدوله ولكنها تملك صفات قريبه منها ، مما اتخذتها صديقة قريبة جدا ومحور اهتمامهن هو الدراسة والتنافس البريء ، على عكس زميلتها فردوس كانت متعالية صدودة ومغرورة وكانت متفوقة أيضا ومن عائلة متواضعة أبوها موظف في دائرة سكك الحديد .

وجود التفاوت الطبقي في أي مجتمع ليس بالضرورة أن يكون الدخل والثروة واحتلال المناصب المرموقة بل الثقافة والتوجه الانساني والايمان هو من يحدد موقع الفرد وطموحه ، وهذا كان عامل اختلاف بين تصرف كل من نور وفردوس .

* * *

السنة المشؤومة

- ١٥ -

ينتاب سكان مدينة بغداد وتوالت اخبار تتسرب من العوائل المتيسرة التي تملك اجهزة نادرة تلتقط الاخبار من كل بقاع العالم بان هنالك توافقاً عالمياً لاحتلال العراق ولكن اغلبية المجتمع يكتنفهم غموض مبهم لانهم شبه منقطعين عن التواصل مع العالم الخارجي ، واخذت حركة غير منتظمة للارتال العسكرية تمر من خلال الشارعين الرئيسين ذهابا وايابا لحي اليرموك ، وفقد هدوءه الوديع في الليل وكأنه استيقظ من سبات لم ينتظره ، والناس في ريبة وهي تحلل وتجتهد وعلى شبه اتفاق ان وطنهم عصي على اية قوة في العالم كما زرعته قيادة البلد في اذهانهم .

* * *

صباح يوم الثلاثاء ارتدت أحلام قميصها الابيض ذا الكُميّن القصيرين وتنورتها الزرقاء الداكنه ، وساعدتها امها في ترتيب شعرها الكستنائي بجمع الجزء العلوي منه واستبعاد جزئين ثم ثنيهما الى الاعلى وتثبيتهما بمشبك نايلون ، ارتدت حذاءها

الاسود الفلات بعد ان جففت قدميها . تناولت احدى سندويجاتها من على الرف التي احضرتهما لها امها من الصباح الباكر بيدها اليمنى وقضمتها واخذت تلتهمه على عجل ويدها اليسرى مشغولة بالاخرى بدسها بجنطتها حين شعورها بالجوع ليوم دراسي طويل ، تناولت كيساً مكتوباً عليه(كل عام وانتِ صديقتي.. نور) هدية عيد ميلاد صديقتها .

اصطحبتها امها ولم تبعد عن البيت الا امتارا حتى فاجأها جارهم الجنب مصطحباً ابنته في ذات المدرسة والتمسها ان يقوم بتوصيلها .

عند وصولهم الى المدرسة تفاجؤوا بتزاحم الرجال بزيهم العسكري في باحة المدرسة ، ذهلت أحلام واخذت تبحث عن صديقتها نور ، وتجشمت في البحث عنها ولمحت عن بعد زميلتها فردوس ولكن لم ترغب في التحدث معها واغرورقت عيناها بالدموع ، وهدأها جارهم اللطيف ومازحها غدا تعود نور للمدرسة وتكون الامور على احسنها .

عادت الى البيت ومضغت ريقا من الخوف وغدت سحنتها الوديعة باهتة وشعرها مبعثراً مكسورة الجناح ، صعقت أمها وفقدت هدوءها وواجهتها بصوت مرتجف :

- ماذا جرى يااابنتي ؟

- ماما توقف الدوام في مدرستي وقد افقد هذه السنة

- وهل شاهدت نور؟

- لا ماما بحثت عنها واعتقد انها لم تحضر ، وهذا ألمني وسوف احتفظ بهديتها بعيد ميلادها حتى التقيها .

* * *

في اليوم التالي اصبحت الشوارع القريبة من حي اليرموك كانها ثكنه عسكرية واخذت بعض المجاميع المقاتلة تتمركز عند الابنيه المتاخمة للشارع الرئيس باتجاه مطار بغداد الدولي ، وبعض المقرات تطلق الاناشيد الحماسية للمطربين العرب والمحليين ، والاغلب يجهل ماتاتي به الايام ولكنها جاءت متسارعة وتقرأ في وجوه الناس وجوماً محيراً اسدلته الاخبار المتسربة من الطابور الخامس وكان اعلام الدولة قاصرا في اقناعهم بحيثيات النصر .

بدأت الحرب التي اطلق عليها العراقيون(معركة الحواسم) بحملة قصف عنيفة اطلق عليها العدو(الصدمة والترويع) وكانت فعلا ماتعنيه حيث تلقت بغداد وحدها الف غارة جوية في ليلة

واحدة ، ثم تلتها معارك ضارية من المطار وهو خط تقدم العدو باتجاه مركز المدينة وحصلت مقاومة شديدة ضد تواجد العدو وخاصة في حي الاعظمية وحي اليرموك وفي حينها وصلت اكثر من مائة جثة من المقاوميين الى مستشفى اليرموك .

كانت الازقة تنام تحت وحشة الظلام ، واصاب عائلة أحلام الهلع والفزع كبقية سكان بغداد ورغم وجود جدها معهم لكنها كانت بحاجة الى والدها الذي انقطعت اخباره لبعد وحدته وشلت كل الطرق بين المحافظات .

حاول جدها ان ينحى بهم الى صهره الساكن في محلة السيدية ولكنها لم تكن اهدأ من حيهم ، كانوا مضطربين من متاهات الحرب وقلقهم على ابي أحلام ، مما دفع بجد أحلام ان يتسلل بين الازقة باتجاه داره وهو يتحرى الاخبار وكانت غير سارة ، بل تذهب الى الأسوأ كل دقيقة .

بدأ القصف يهدأ او يؤول الى الهدوء في الشوارع الأربعة ولاح في وسطهن عجلات مدرعة اجنبية متناسقة التنظيم ومتأهبة لاي طارىء ، تنتظر الاوامر من مركز قيادتها الذي اختير مقابل مستشفى اليرموك .

كان حي اليرموك تحت سكون حذر ، عاد جد أحلام عبر التقاطع الذي يؤدي الى ذلك الزقاق المظلم ، يملكه احساس غريب كأنه فجأة امام شيء عزيز فقده ، هاهو بيته لايزال منتصبا على الرغم من المعارك الدامية دارت قريباً منه ، دنا وهو يشتم رائحة الزيت المحترق الذي تناثر على اسيجة البيوت الكئيبة ، بعضها ابوابها مشرعة من ضمنها باب بيته ، لم يكلفه فتحه ، لانه فتح بفاعل مجهول ، حتى اشاح بناظره الى المطبخ الذي ياخذ مساحة جانبية من الجهة اليسرى من باحة البيت كان قطعة كاربونية مظلمة ، تحرى السبب ، انه حريق كان مصدره مدفئة نفطية انكفأت عند الهروب على عجل ، عثرت بها احد النساء ، كانت بقية جدرانه المشبعة بالرطوبة مطرزة بنتوءات الملح ، لم يابه بذلك ولكنه صعد الى السطح والقى بنظره الى الافق بكل الاتجاهات وأختنق ، وكأن هواء بغداد المنعش لم يسرِ الى رئتيه بل اصابه هو كذلك حزن يرفض الغزاة ، وهو يتمتم بغداد جمجمة العرب ، فيها دجلة ومليون نخلة .

* * *

كان يوما حزينا للكل ، سُرقت مدينتهم تحت وطأة السلاح والغدر ، واخذت دبابات المحتل تنسحب الى مراكز محددة ، وباشارة من قوات المحتل وتحت ابصارهم بدات صفحة النهب والسلب لكل دوائر الدولة والمحلات التجارية.

أسدل الظلام حنقه على كل مدينة بغداد وتوقفت كل المرافق الخدمية ومنها المستشفيات ولم تجد من احتياط مادة البنزين التي تسند المولدات الكهربائية التي اعدت احتياطا للطوارىء . واخذت الارزاق تنفد وينعدم الامل ولجأت الناس الى تبرئة انفسهم من اي عمل سيء يقترفونه بدعوى الاضطرار والضرورة .

* * *

الرجال .. مواقف

-١٦-

انبرى في تلك الظروف رجل جار لجد أحلام يدعى (ابو احسان) متوسط العمر يميل الى البدانه تجد في كلامه الحده والجرأة كان حارسا ليليا مناوبا في مستشفى اليرموك ، مرت تلك ليلته بهدوء ، وعند انهماكه بصلاة الفجر ودعا دعاء الاستغاثة ، بعد رفع طرفه الى السماء ، اللهم اصرف عنا ظلم الطغاة والمحتلين وانزل عليهم غضبك وفك عنا ظلمات حقدهم بنور وجهك ، حتى بان الخيط الابيض من الخيط الاسود وبدأ يتحرى بين اقسام المستشفى حتى وصل الى مخزن مادة البنزين ، حينها وجد تسرباً قليلاً من احد الأنابيب الخارجه من الحاوية الكبيرة باتجاه المولد الكهربائي الرئيس، انشغل بتصليحه .

فوجىء بطرق شديد وهمجي على الباب الرئيس للمستشفى، نظر من النافذة المطله على الشارع واذا باسراب من الناس يتسابقون باتجاه المستشفى ، استغرب الحاله ولكنه استدرك وانتخى رجولته انها الأمانه .. ركض الى غرفته واستل بندقيته وصعد اعلى البنايه .. واطلق النار في الهواء بشكل

منقطع حتى جفلت الرؤس المتخلفة، بعضها رجعت الى رشدها ، ان هذا مال عام ومرفق خدمي يحتاجه الكل والبعض الاخر اخذ يتربص الفرصة ليعيد الكرة عسى ان يحصل على غنيمته ، هجمت وجبة اخرى من خلف المستشفى ولكن عددهم قليل فردهم برشقة من الاطلاقات ، كل هذا الوقت لم يسعفه احد ولن يلقي اسناداً الا من ضميره الحي .

عند المساء له معارف قريبون من المستشفى انتخت بهم الغيرة حتى تواصلوا معه وزوده بقليل من الطعام مما عمقت من معنويته ، في اليوم الثالث بدأ الموظفون القريبون يتوافدون الى المستشفى وتعود الحالة طبيعية تدريجيا .

* * *

تجمع العائلة

-١٧-

في تلك الفترة عاد جميع اهل أحلام الى دارهم ماعدا اباها ، كلما تمر الأيام يزداد حزنهم عليه خشية من المجهول ، حتى اطل عليهم في الصباح الباكر بعد عشرين يوما من الغزو ، وسرد لهم قصته المحزنة ..

تعرضت ثكنته الى قصف صاروخي مباغت من طيران العدو، حينها استشهد عدد من رفاقه ضمنهم صديقه سعيد كان يوماً مؤلماً ، شارك مع بعض رفاقه في دفن الشهداء ونقل الجرحى الى مركز صحي قريب ، وافرغت الثكنة خشية معاودة قصفها مرة ثانية .

انقطعت الطرق تحت وطأة القصف الكثيف على المواقع المهمة في مدينة الموصل . غادر مدينة الموصل مع بعض رفاقه سيرا على الاقدام متوجهين صوب قصبة شيحان للابتعاد عن تاثير القصف الجوي للعدو التي اخذت طائراته تجوب السماء بحرية ، ومنها الى مدينة اربيل بعد ان استقلوا ماكنة زراعية كانت تسير عبر ارض وعرة بعيدا عن الطريق العام . قضوا ثلاثة

ليالٍ يتنقلون بين القرى بأتجاه مدينة كركوك من دون الولوج الى مركزها تحاشيا لتواجد المحتل .

الطريق العام باتجاه مدينة بغداد مراقب ومسيطر عليها بنقاط تفتيش مركزة مدعومة بقوة من الدبابات . لم يبقَ معه من رفاقه الا واحد من اهل مدينة ديالى ، اشار عليه بالأنحراف عن الطريق العام باتجاه مدينة ديالى ثم يسلكان طريقاً محاذياً له من جهة اليسار والتنقل بين القرى المتناثرة بين التلول باتجاه مدينة كفري حتى شمال بعقوبه ، استغرقت رحلتهم وقتاً غيرَ قصير ، عانوا فيها الجوع الذي يصرخ في امعائهم ، والخشية ان يقعا اسيرين بيد المحتل واعوانه ويلفقون عليهم اية تهمة يدخلونهما السجن بها .

وصلا بيت رفيقه واخذا قسطاً من الراحة ، وأشار عليه صديقه ان لايستعجل بالتوجه الى بغداد لانها كانت مستهدفة من العدو ، ولكنه أصر أن يغادر لأنه يجهل ما حل باهله .

سلك طريق جنوبي بعقوبه ، جعل واجهته حي المعامل شرق مدينة بغداد ، وهو طريق سالك ولكنه قديم وشاهد عدداً غير قليل من الرجال شاركوه نفس الطريق وهم بلباس مدني حتى وصلوا الى مساحة كانت عقدة تقاطع الطرق ، مما زاد عدد

المشاة وبان جمعهم وتنبه الى هدير محرك طائرة كانت تحوم فوقهم مما اسرع وانبطح في شق ارضي للاحتماء من غدرها ، وكان تفكيره صائبا فقد صبت عليهم حممها بحقد وتناثرت اشلاء بعضهم وبقى ساكنا حتى ابتعدت عنهم ، وتناخى من بقى حيا بتولي انقاذ الجرحى حتى وصلت اليهم مجموعة شباب من البيوت القريبة . واصل سيره مع من تبقى من الرجال ، دخل بغداد عن طريق حي المعامل ، انها رِحلة شاقة ومحزنة ، وصل داره وغمرت البيت فرحة باهته .

* * *

اصبح ابو أحلام مستقيلا من وظيفته العسكرية بعد قرار المحتل بألغاء الجيش العراقي ، كان نشطاً بالأعمال الحرة وجرب اكثر من عمل ولكنه لم يفلح، حتى شارك احد اصدقائه بفتح محل للمستلزمات الطبية في منطقة تجارية وكان موفقا بهذا العمل واصبحت عائلته ببحبوحة من العيش ، ومرت الايام وبدأت أحلام تأخذ نصيبها من الدلال المريح وتغيرت احلامها ، وعادت الى مدرستها مسرورة كي تلقى صديقتها نور ولكنها لم تحضر في اول يوم ولا الثاني بل انقطعت اخبارها. اصابتها كآبه عارمة حتى تدخل اهلها لتهدئتها ولكنها يوميا تفتح هديتها بعيد

ميلادها .. لم تهتم بدراستها مثلما كانت نور بجنبها وتنافسها بروح شفافة ، تآلفت مع زميلتها زينب وهي تشاركها الألم لفقدان نور ، انهيتا سنتين دراسيتين معا .

اشتدت حينها المقاومة المسلحة وزادت شراستها في مدينة بغداد التي تبناها شباب شجعان من عامة المجتمع جبلت عليهم عقيدتهم كان لباسهم اسلامياً كما يبدو ، اصابهم حنق شديد من تواجد المحتل حتى اجبروه بسحب جميع قواته المدرعة من شوارع بغداد وتحصنت في اماكن مختارة في قلب العاصمة ، ناهيك بخسائره الكارثية في الجنود والتجهيزات في مناطق غرب البلاد .

* * *

إِنها.. الفتنة

-١٨-

استيقظ العراقيون على يوم اسود من عام ٢٠٠٦ اشتعلت فيه فتيل الفتنه الطائفية سببها حصول انفجار مدوٍ في مرقد الامامين العسكريين في سامراء تسببت في هجمات طائفية وتركزت في مدينة بغداد راح ضحيتها الالاف من المدنيين ، اطفال ، نساء ، شباب وشيوخ ليس لهم اي ذنب ، وتهجرت ملايين العوائل الى الداخل والخارج .. حرب اهلية مارقة لم تحدث صدفةً ، بل مخطط لئيم لقطع اوصال المجتمع العراقي بعد ان كان يعيش بسلام ووئام لم تخدشه اختلاف الطائفة ولا العنصرية ولا الجنس .

كانت كل احياء بغداد يسكنها مزيج عطر من كل الالوان ، وراح في الوهلة الاولى يستهجنون ما يسمعونه من احداث مروعة في بعض مناطق بغداد .

كان ابو ياسين بعلاقة صداقة حميمة مع محمد جواد جاره الجنب ، وهما يتحدثان باستغراب ما تؤول له الاوضاع ، وكما يقول المثل(للحديث شجون) استرسل محمد جواد بحديثه عن

ملحمة تاريخية ضحى بحياته عدد من الصالحين والابرار لاجل وحدة أمة وطمس الفتن التي اخذت تنخر في جسد المجتمع انذاك.. رد ابو ياسين ، ما اشبه اليوم بالامس ، اليوم ما احوجنا لهم لينقذونا من عهر الدعاة بالدين دون وازع ضمير او مصوغ انساني اصبح حي اليرموك ترسانةً للاسلحة واحتلته اجناس ، يجهل مصدرها وبدأت العوائل تفر من بيوتها على عجل تروم الخلاص بارواحها من جحيم القذائف ، وكثافة الرصاص ، الذي اصبح هو السائد ، توقف كل شيء من معالم الحياة .

* * *

نزح ابو أحلام وعائلته مبكرا دون بقية العائلة بالحاح والده خشية من سوء الامور التي بدت متجهمة الى حد البؤس ، صوب اطراف بغداد قريبا من مدينة المحمودية ، وجدوا مشقة في بادىء الامر حتى وصولهم الى شمال الانبار ، كان الطريق سالكا الى مدينة الموصل وكانت وجهتهم مدينة الموصل الى بيت صهره .

كان استقرارهم الأول في بيت جد أحلام الذي كان احدث بناءً وانقى هواءً ، و تجولت أحلام مع اختها في البستان الكبير وهما يمرحان بقذف نوى الفواكه على بعضِهما .

* * *

التحقت أحلام بأعدادية الاندلس للبنات القريبة من بيت جدها في المرحلة الأعداية الرابعة ، صُدمت بوضعها الجديد بادىء الأمر وبقيت أسيرة ذكريات صديقاتها نور وزينب وجارتها القديمة واقربائها ، وحاولت جاهدة ان تحافظ على مستواها الدراسي المميز ، ونالت اعجاب مدرساتها.

كانت درجاتها باهرة نافست فيها الاوائل من اقرانها ، واصبحت تحس ان دلالها عاد لها وخاصة بعد ان فتح والدها محلاً للاجزة الطبية على غرار محله السابق في مدينة بغداد ، كان مردوده جيدا ، واصبح يتنقل بين الدول كتاجر يحسب له .

اثار انتباهها سلوك والدتها ، قد بدى عليه تغير كبير واصبحت تهتم بنفسها وبناتها وكان ودها الجميل الى زوجها اصبح طاغيا مما جعل أحلام تعيد طفولتها التي تعثرت بسبب حنق جدتها من أبيها اتجاه امها ، واخذت تقارن بين بيتها الان وهي تعيش بين عائلة جدها لأمها وهم يغمرونهم بكل نكهات المحبة الفائضة وعائلة جدها لابيها كانت تحت نظام بائس فاقد الى روح الألفة الا بعض شذرات العطف من جدها .

استقبلت عامها الجديد في المرحلة الخامسة الأعدادي كالطيور عند استقبال الربيع بعد شق شرنقة الشتاء الممل، واصبحت لها صديقات يحملن لها الود وكانت نتيجتها الاعفاء في المرحلتين الرابعة والخامسة .

❊ ❊ ❊

الأنكسار

- ١٩ -

أحلام الان في السابعة عشرة من عمرها ، فتاة مكتنزة ممشوقة الاطراف متوسطة الطول يمنحها وجهها المدور سحنة ملاكية بيضاء يرتسم عليها انف طري طفولي يستقر على فم صغير تتخيله فم(سمكة نوع البني) عريض الاشداق حُدد بحمرة ربانية يعلوه هلالان كل منهما يحتضن عيناً سوداء تغازل عيون المها التي تشتهر بها براري مدينة الموصل ، كل هذه التشكيلة يؤطرها خمار ابيض محبب لها متوافق مع روحها التي تميل الى الالتزام بالتقاليد الدينية والاجتماعية ..

أولى أحلامها وشاغلها هو الدراسة ، لم يمر على قلبها نسيم الحب ولم تهتز عاطفتها برهة لنبال الشباب العبثيين ، تلحظ في مشيتها جذوة الحياة مفعمة بتفاؤل وأمل يحدو بهما نسك العابدين متصالحة مع دنياها حد الرضا ، تناست كل ماعانته في طفولتها .

كثيرا مايحصل بين زميلاتها أحاديث متنوعة عند الاستراحة تتسيدها زميلتهن هدى ، شابة بدينة ، كثيرة الكلام ،

قليلة الاهتمام بدروسها ، تحب المزاح ، لديها قابلية في تقليد مدرساتهنّ ، تتجمع حولها كثير من زميلاتها طلبا للضحك والمرح ، كأن الحياة لهوٌ وعبث وزميلتها شروق تتشدق بعلاقاتها العاطفية وكأنها هي مرغوبة دونهن ، واسيل تستهويها الاغاني الاجنبية واغلب زميلاتها يبُحنَ بمالديهن الا هي ، قليلة المشاركة ولكن الجميع يحترم هدوءَها .

* * *

في صباح أحد الأيام بدت أشعة الشمس تسخن وتصب هجيرها على بيت جد أحلام الذي يواجهها ذي الباب الواسع المصنوع من خشب الصندل الثقيل ، اجفلها صوت طرق الباب على حين غرة ولا يوجد في البيت سواها ، خرجت ترتدي ملابسها الفضفاضة دون خمارها.

- نادت من الطارق ؟

- اجابها صوت نسائي .

اطمأنت وفتحت الباب وهي تتفادى أشعة الشمس التي بدت يعكسها بياض وجهها المرقط بحبات نمش خفيفة على وجنتيها محاولة أن تستظل بكف يدها على عينيها مما زادهن بريقا ،

وكانت على الباب أمرأتان احداهما طاعنة بالسن والاخرى متوسطة العمر .

- صباح الخير ابنتي .

- صباح النور خالة

- من الموجود ؟

- لا يوجد احد من اهلي

- شكرا ابنتي .

- اهلا خاله ولم تسال عن قصدهما

ذهلت الأمرأتان بجمال أحلام وحسن كلامها وكأن القدر ارسلهما بعناد . اخبرت أحلام امها بما حدث ، لم تعرْ امها اهتماماً للأمر ونسي .

بعد أسبوع زارت المرأتان نفساهما بيت أحلام وهي غير موجودة ، بل كانت في درس خصوصي في مدرسة العراق الاهلية تتهيأ للسادس العلمي .

فاتحتا أمها برغبتهما بخطوبة أحلام لأبنهم ، فوجئت بالخبر ، وصمتت قليلا وشعرت بالقلق لأن النسوة غريبات ، وجاهدت لكي لاتبان فرحتها به ، كونها كانت تنتظر هذه اللحظة لما عانته من بنات عمومتها وهن يقدحنها بان بناتك غير

مرغوبات للزواج وبناتهن يتزوجن مبكرا وهذا كأنه عرف مشاع عند عوائلهم ، استدركت الام صمتها ورحبت بطلبهن .

- ماهو عمله ؟

- صاحب شهادة عليا ويملك وظيفة جيدة .

واستطردت المراة الكبيرة(أم عبدالرحمن) ، نحن بيت حاج غانم صاحب معمل السعادة للنجارة .

- كم افراد العائلة ؟

- انا والحاج غانم وعبدالرحمن وابننا الصغير متزوج وعنده طفل .

طلبت أم أحلام ، أن يعطوها وقتاً وترد عليهم ، استحسنت المرأتان لطف الام واستاذنتا بالانصراف على وعد التواصل .

كان الخبر على أم أحلام صاعقا لم تعرف كيف تخبر زوجها او بنتها ، وكانت في حيرة مقيته واصبحت تدور في باحة الدار منتظرة بفارغ الصبر عودة أحلام ، وهي تحدث نفسها أنها أصبحت صبية جاهزة للحب والحياة الزوجية ولديها مايكفيها من الخبرة .

عادت أحلام ، وكان يومها مليئاً بالنشاطات فقد أصغت بتركيز على ملاحظات ألمحاضر وهو يرسم لهم أول خيوط

مستقبلهم ويعلي من سقف طموحهم ، وهي جادة ألتفكير بأن تحقق أعلى ألدرجات لتجعل أهلها يفتخرون بها .

* * * □

انعطاف غير متوقع

-٢٠-

عندما فتحت أحلام باب الدار كانت وجهاً لوجه مع أمها وهي تستقبلها بابتسامة عريضة رطبت خديها بدموع فرح لم تشاهدها على محيا والدتها طيلة حياتها ، احتضنتها أمها بحرارة وكأنها تتسلم نتيجتها عندما كانت طفلة .

- مالخبر ماما .

- كل الخير يا ابنتي ، خبر كنت أحلم به.

- وما هو ماما شوقتني .

- اليوم زارتنا امرأتان من عائلة معروفة يرومان خطبتك ياعزيزتي .

- اخذت الامور بسذاجة بداية الامر ، لأنها لم يرد على بالها قط .

- هما اللتان اخبرتك بأمرهما قبل اسبوع .

- نعم ، وكانتا لا يتوقفان عن الكلام عن أخلاقك ، وهي فرصة لا نضيعها.

- ماما ، دعك من هذا الأمر ، إني أجهد أن أحقق مستقبلي وهو ليس بعيدا فقط سنة واحدة ويبان طريقه وعندها لكم الامر .

- الفرص لا تتكرر يا ابنتي وهذا رزق ساقه الله لنا لم نحتسبه .
- ونعم بالله ، معي زميلة تمت خطبتها توا وأُجل الزواج الى حين انتهاء العام الدراسي .
- ننتظر والدك ونرى استشارته ، قالت أمها ، لتتغاضى عناد أحلام .
- ردت بحنق ، وهو كذلك .

عاد والدها وكان متأخرا ذلك اليوم ، انتظرت الأم الى ان ياخذ قسطاً من الراحة ، وهو يلمح بعينيها هماً تكتمه على مضض غير عادتها لا ، مازحها بكلمات لطيفة وبادرها .

- كيف كان يومك ياعزيزتي ؟
- كان عندي أغر الايام ياحبيبي .
- ها ، كيف عرفتِ إني تعاقدت اليوم مع شركة مهمة في توريد الاجهزة الطبية ذات صناعة فائقة الجودة ومطلوبة في الاسواق، واخذ يشرح لها وهي غير آبهة بحديثه ، وأحس بفطرته أنها لا تشاركه الحديث فاستدرك :
- اعتقد لديك خبر اخر يزيد من سعادتنا ؟
- نعم ، اليوم ، عائلة تعرفهم ، طلبوا يد أحلام وننتظر رأيك ياعزيزي .

- انه خبر سعيد، هذه ستة الحياة ، البنت حظها الزواج ، من همْ ؟
- عائلة حاج غانم صاحب معمل السعادة للنجارة .
- ماشـاالله ، عائلـة كريمـة ومسـتورة ولنـا الشـرف في مصـاهرتهم ، ولكن شرعا أخذ رأي أحلام في الموضوع لانه يخصها هي فقط .
- ليس لديها عذر للاعتراض .
- رأيها الأول والأخير .
- أحلام تمانع الآن ، وعندما تفكر بعمق تعرف مصلحتها.
- انا مع رأي أحلام وهذا مستقبلها.

* * *

في اليوم التالي سارعت الام محمومة بأخبار عماتها (الكبيرة خيرية والصغيرة فاطمة) وهنّ لديهما خبرة وقريبة جدا منهما ، وحكت لهن الخبر ، تلقينَ الخبر بسرور ، وباركنَ لها والى أحلام .

- آه من أحلام لم توافق لحد الآن .
- ردت خيرية بحماس ، لماذا لاتوافق ؟ هذا دلالك يانورا..!!
- ياعمتي لك سطوة علينا جميعا واريدك أن تقنعيها بالأمر .
- نحن عوائل عريقة في المدينة ونعرف بعضنا البعض، ولا يوجد مسوّغ نعتذر لهم.

عادت ام أحلام الى بيتها بعد ان شحنت عاطفة عماتها.

حضـرت خيريـة واختهـا الى بيـت أحـلام ، وتحـدثن معهـا بأسلوب رقيق سلس وعاطفي ، وكلما أرادت أن تتكلم أردفت عليها الأخرى بكلام معسول ، وأحلام تجد فيهن قدوة لكل العائلـة والان يتوسلن بها للموافقة دون اي شيء غير مصلحتها.

بدأت تلين أحلام وبشروط :

منها تكملة دراستها ، وبيت وحـدها وغيرهـا ، ووعـدتها خيريـة ان ينفذوا كل شروطها .

* * *

الخطوبة

-٢١-

تبادلت العوائل الزيارات وتعمقت العلاقات وارُسلت الهدايا ، وكانت الأمور تسير بهدوء ، إلا أحلام كانت مرتابة برغم إعجابها بخطيبها عبد الرحمن بعد أن التقته مرة واحدة ، وكان شاباً طموحاً يحمل شهادة عليا في الدراسات الاسلامية ويدرّس في أحد الأقسام في الجامعة .

تم التوافق على موعد الخطبة الرسمي ، وقبلها بيومين زارت والدة خطيبها العمة خيريه ، ذات الرأي لتستميلها لمرادهم وفاتحتها برغبتهم ، عدم إكمال أحلام دراستها ، بحجة أنهم عوائل تؤمن أن البنت بعد الزواج لبيتها ولزوجها، ولا ينقصها شيء .

صُدمت خيريه بطلب الأم وصمتت وكان ريقها نشف في حلقها ، هي وعدت أحلام عزيزتها بذلك ، بان الغيظ على محياها ولكن ام الولد ماكرة ، بدأت تكيل عليها المديح:

- نحن استشعرنا بكل الخير عندما وجدنا لك صلة رحم بالبنت ولك ثواب كبير عندما تدخلين الفرح لعوائلنا وهذا يحسب لك ويرزقك الله من غير ماتحتسبين .

- الله يقدرني على عمل الخير .

- باذن الله الخطبة عند موعدها ؟

- اعتقد ذلك .

غادرت ام الولد واصاب خيريه صداع ثقيل ، كيف اقنع أحلام(ان الوعد عهد) بما استجد ، امرٌ صعبٌ ، يحتاج مساندة من الجميع .

* * *

في اليوم التالي زارت خيريه بيت أحلام ومعها إخواتها واحضرن معهن هدايا الخطوبة وتظاهرنّ بفرح غامر واحاديث لاتنتهي ، وبدأت أصغرهن بتلاوة أيات القرآن الكريم لمعرفتهن بميولها الفطرية النقية وتاثرها بهذا الجانب ، وهن بهذا الحال اوصلنّ الخبر تدريجياً وهي مشغولة التفكير بحياتها الجديدة واصبحت امرأة ناضجة تراقيها الناس بل تحسد من زميلاتها ، كان هذا كافيا لعدم الاعتراض بشدة او يكون موقف صارم من جانبها ، نعم اول مرة افزعها الخبر ولكن سرعان ماتبدد تحت صخب الاحتفاء والفرح بخطبتها .

تمت الخطبة وعلامات عدم الرضا ترتسم على محياها ، ولكن ماوجدته من عائلة عبدالرحمن ، ومن خطيبها ، هدأ من

روعها ، واخذت تستقر نفسيا وشغلت نفسها بالتسوق لكل مارغبت به ، بل أخذوا يلحون عليها بالمزيد ، وقد أحست أن الجميع يرومون رضاها ، وأغدق عبدالرحمن عليها بالهديا الثمينة حتى بدأت تميل له .

لم تكن مدة الخطوبة طويلة بل خلال شهرين تم ألعقد في المحكمة وتلاها الزواج وكان مهيبا لكثرة الضيوف والمعزومين من جانبي أهل العريس والعروس ثم تم زفافهما الى فندق فاخر أربع نجوم على ضفاف دجلة من الجانب الأيسر من المدينة .

* * *

ليلة الزواج

-٢٢-

استقر بهما المطاف في جناح خاص للأعراس من الفندق ، دَلَفَ العريس عبرَ رواق ضيق متأبطا يد عروسته التي تقصره قليلا فتحَ الباب مازحا مع عروسته ادخلي برجلك اليمنى ، ردت عليه مازحة كذلك انت افعل ما افعل ، حتى كان الاثنان وسط هول صغير ، مزود بثلاجة صغيرة في أحد الأركان ، جلس قليلا عى كنبة صغيرة مريحة جعلتهم اكثر قربا من اي وقت ، انتظرت منه ان يشير لها بالذهاب الى الغرفة التي صار بابها يستدعيهما للدخول ليبارك لهما ، حتى نهضت بعذر ضيق ملابسها ، بهرتها الغرفة التي كانت مزينة بشكل انيق كان السرير مغطى بمفرش احمر اللون يتناغم مع اضاءة قوية ذات اللون الاحمر كذلك ، مع وجود مرايا تزيّن الديكور مع باقة ورد تتوسطها شمعة كبيرة تحيط بها شموع صغيرة مختلفة الالوان ينفث منها معطر جذاب .

كانت تجهل اجراءات ليلة العرس رغم كل التعليمات التي سمعتها من امها ، ولكن لم تجد تشجيعاً من زوجها ، ارخت ظهرها على السرير ثم أتكات على يدها اليمنى ومددت رجليها وهي

تنتظر عريسها ، دخل عليها متمهلا يحمل في يده كأس عصير قامت على السريع ومسكته بابتسامه طفولية واخذت رشفة منه بدلال ووضعته جانبا قرب احد المرايا ، وبادرها بقبلة على جبينها باستحياء ، وأدارت له ظهرها ليفك عنها ازرار البدلة الثقيلة لتستبدلها بملابس النوم، هو لم يتأنّ بأستبدال ملابسه الرسمية ببيجامة ذات لون سمائي كانت من اختيارها.

مرت الليلة الاولى بهدوء ، وقد أرخت خطوط دفاعاتها تماما، ولكن لم يزرْ النوم جفونها ، اجهدها السهر المقيت حتى الساعات الأخيرة من الليل ، وهي تستذكر وصية أمها ، عليها مساعدة زوجها في انجاز مهمته وهذا ما أرّقها ، بينما هو تظاهر بنوم عميق ولكن ليس بأحسن حال منها .

❊ ❊ ❊

في الصباح تهندما وتعطرا وكل منهما يحاول تغطية وجوم وجهه ، بابتسامات باهتة ليس فيها روح ، ونزلا ويداهما متشابكتان الى المطعم في الطابق الارضي ، والشال التركي يغطي مرفقيها ، والعقد الذهبي المطرز بحبات الفيروز يطرّز صدرها ، والأساور التي تتناغم مع كل حركة من يديها ، والخواتم ذات

الفصوص النادرة تزيّن يديها ، وتنتعل خفاً مزركشاً يبدو متناسقاً مع بدلتها البيضاء ، وهو يحدثها عن المرأة : انها مخلوق رائع ولو لم تكن حورية لما جعلها الله يكافىء بها عباده المخبتين في الجنة ، ويصفونها بجميل الطيور والحشرات والحيونات المحببة .

وفي الساعة العاشرة استقبلا ام العريس وكانت مشرئبة العنق منتبهة الحواس تثاقلت بالمشي فاسحة المجال لام العروس التي تقدمت وئيدة كي تستكشف ما حدث ، وجلس الجميع في الصالة الرئيسة للفندق وكانت الاجواء طبيعية لم تثيره الشك .

* * *

الليلة الثانية لم يتحمل الموقف ، وهو يرى أحلام الملاك تتعذب امامه ، انفجر باكيا حد النحيب والقى براسه في احضانها ، كان عبدالرحمن ، ولداً ودوداً هادىء الطباع كريم اليد والنفس ، استعطفته من اعماقها وهي بنت تربت على التقوى والفضيلة ، وهذا موقف انساني عسى ان تساعده على محنته التي اجبرته على هذا الموقف في احلى ايام عمره .

اخذت تنشف دموعة بورق نشاف رطب ، وتسمعه بان لاينسى نفسه انه رجل ، وانها تسمعه واسند راسه على كتفها الذي لم يعد قويا كما كان :

- واردفت تحكي مابك ؟
- ارجو ان تصدقيني لم اغرر بك وانت تعرفين ايماني بالله.
- اصدقك ياحبيبي ، لاتخف انت اصبحت قدري الذي لم استطع مراوغته ، ولي الرضا به ، فقط احكي اي شيء حتى لوكان يغيظني ، لم يفرق عندي شيء بعد ، وهي تتجاهل اي شيء يخفيه وراء مسحته الطيبة .
- بهمس حصل عندي عارض سببه مجهول أثر على نشاطي الجنسي ولكن الطبيب اكد لي اني قادر على الأنجاب .
- أحمر خداها وتلونت عيناها بالخوف واهتزت في داخلها واصابها دوار تحاملت عليه كي لاتخذله ، وصمتت وهي تحدق فيه بذهول ثم عادت الى رشدها، لاتهتم ياحبيبي اجعل الامر بيننا عسى الله يجد لنا مخرجا ويبعد عين الاقدار عنا التي تاخذ منا كل شيء نحبه .
- كيف اجازيك على صنيعتك ، ولكن ابقى مديناً لك مادام في الحياة بقية ، وهي تحدث نفسها سرا ، آه .. تعثرت خطواتي في

اول سلم عمري ، واخشى ان يصبح قلبي مجعدا كثمرة تفاح سقطت من غصنها العالي ، وتذبل كل مفاتني التي ازهو بها دون ان يغازلها فارسي .. رباه انت ملجأي الاخير لاسواك .

* * *

عادا الى بيتهما وهي في فستانها الابيض من الدانتيل وسط فرح ومسرة الجميع مع موسيقى صاخبة ، والازهار تزين الطاولات ، وامتزجت العطور النفاذة مع خيوط البخور .. وامست في غرفتها التي اكتظ بها اريج المسك والعنبر ، ولكنها بدت شاحبة مليئة باوجاع ونكد الايام .. وهي تحدث نفسها .. ان الفراق لم يكن عن المدرسة بل عن الاحلام والذكريات المؤنسة ايضا ، وقلبها مليء باسرار لم تعلن ، وصور سوف يمر وقت ثقيل حتى تتكشف ملامحها وتفك عمومياتها ، وقد لاتنكشف معانيها ومراميها الا بتدخل رعاية الله بعد ان باتت مؤمنة بموعد مكتوب في الغيب . كانت امها قريبة منها وهي لاتكف عن الدعاء لها والفرح يتدفق من عينيها على هيأة دموع .

باتت تعيش المعاني القلقة للاوقات ، بين صباح صامت وظهر ممل وغروب سقيم وليل موحش ، وبدت جميع الاشياء

عندها بائسة ، وجعلت تنظر للاشياء الجميلة غير موردها حتى الازهار باتت ذابلة ، حاولت أن تعوّض نقصها بعلاقات افتراضيّة عشوائيّة .

* * *

غضب العائلة

-٢٣-

اختلت أم العريس بأحلام ، وجلست امامها وحدقت لها بعينين مكحلتين ، وهي تكمن في داخلها قوة هائلة وكأنها تقرأ سطور حياتها بنظراتها ، اثارت اهتمامها بعد ان قطعت صمتها وبدأت تخبرها عن سبب مرض عبدالرحمن دون أن تسألها أحلام ، كان حديثها مبهماً في بادىء الأمر حتى ان كل كلمة تخرج من شفتها كانت غامضة ممزوجة بابتسامة باهتة خالية من كل معاني البراءة ، سمعت منها غير ماعرفت من عبدالرحمن ، في حينها ادركت انها تعرضت الى حالة أحتيال .

أخبرت والديها وهم بدورهم صُدما ، وقام ابوها بمفاتحة والد العريس ، الذي كان عليل البدن ومنطفىء النظرات ولكنه استقبله بود منقطع النظير ، وطلب منه بفرض ان يتبادلا الادوار فبما ينصح ، كان حاج غانم رجلا مهيبا وقرا غمر أحلام بعاطفة ابوية مؤثرة حتى كاد ان يكون روحها، اتفقا اخيرا، تترك للايام دون العجلة ، قد يكون فيه ظلم لاحدهما ، اما أمها فاخذت تراقب مايجري بصمت قاسٍ .

اهتـدت أحـلام الى قـراءة القـرآن ، وعلمهـا زوجهـا الـذي كـان بارعا فيها ، كل حركةٍ وشدةٍ وغنةٍ واظهارٍ واقلابٍ فيها .

بدت أحلام مدللة الجميع وخاصةً عمها أبا زوجها الـذي كـان رجـلا واعظـا ، يمـيط الاذى عـن الاخـرين ، وكـان يغمرهـا بحنـان ابوي كبير ، وبدأت عاطفتها تلين كـثيرا علـى حالـة عبـدالرحمن ، الـذي بـدأ يقنعهـا بالحمـل عـن طريـق الحقـن ، (جمـع الحيوانـات المنويـة مـن الـزوج بطريقـة جراحيـة ثـم يلـتقط حيـوان منـوي واحد ويحقنه مباشرة في بويضة الزوجة ثم يـتم فحصها لمعرفـة اذا تم تخصيبها) الـذي مانعتـه بقـوة غـير انـه اقـترح عليهـا زيـارة احد المشايخ من اصدقائه ، وكان جوابه (لامانع) ، ومـن هـذا الـرد رضـخت لرغبـة زوجهـا وهـي تحـس بفـراغ قاتـل عسـى ان تـرزق بطفل يملأ عليها حياتها التي اصبحت لاتطاق .

* * *

رُزقت بطفـل جميـل وعنـدما احتضـنته ابتسمت وأختفـى بريق الحزن من عينيها ، وكانت فرحة الأهـل لاتوصـف ، وخاصـةً جده، أسموه أحمد ، كأنـه نـزل عليـه مـن السماء ، فعملـوا لـه يـوم السابع مميزا تندروا به بين أهالي المحلة .

اصبح قلب أحلام اكبر حجما وصدرها افسح مكانا ، وسيدة محبوبة ، وهي تجيد الدور ، وكان عمها يستشيرها في كل شيء ، تقول فتسمع، وتطلب فتطاع ، حتى عزز في نفسها ثقة لايدخلها الشك .

❊ ❊ ❊

الحقد الأسود

-٢٤-

حملت مرة أخرى بعد عامين وبنفس طريقة الأخصاب السابقة والجميع ينتظرون المولود بشغف ، كان الوقت ظهراً ، بدأت اطلاقات متقطعة تسمع عن بعد وفتيل من الدخان يعلو بعض الاماكن والناس تجهل مايحدث وتركض دون هدى مسرعة عبر الازقة ، وبدأت تختفي معالم حركة السيارات .

احست في الشطر الاول من ليل ذلك اليوم المشؤوم بألم لم تتعرض له سابقا ، واخذ يتضاعف وكان بطنها على وشك الانفجار ، اصطحبها زوجها بعربة لذوي الحاجات الخاصة ، لعدم توفر اي واسطة نقل ، لان الحركة شُلْت تماما في مدينة الموصل ، وتوجه بها عبر الازقة الى مستشفى البتول ، تم اجراء اللازم وهدأ ألمها قليلا ، وفي اليوم التالي غادرت المستشفى وبقيت اربعة ايام في البيت ولم يبارحها الألم رغم استمرارها بالعلاج .

خلال تلك الفترة مُلئت الشوارع بمجاميع مسلحة وملثمة ذات وجوه شيطانية حاملين رايات سود ، علق زوجها في حينها عليهم ، انهم شَرُّ الناس مذكوين في كتب التاريخ(اصحاب الرايات

السود) ، اصبحت المدينة كئيبة كأنها اصابها حاصب مدمر والشوارع مليئة بالسيارات المحترقة اغلبها من مخلفات وحدات الجيش ، الذي انسحب على عجل حتى يتمركز في مكان آمن .

عاودها الألم واصبح على أشده ، لم يحتمل زوجها ذلك الموقف ، حتى احضر لها عربة ونقلها الى المستشفى وكان تحت سيطرة مايسمى(الدواعش) ، وهو شديد الحذر من هذه المجاميع التي اصبحت ذئاباً مفترسة يقتلون اي شخص يمتنع عن الانتماء لهم ، ادخلها صالة العمليات لم تجر ولادتها بيسر او طبيعيا رغم كل المحاولات ، انهكها التعب ، واصبحت خاوية ، فقرر الطبيب ان يجري لها عملية قيصرية ، ولكن عدم توفر مادة التخدير ، حتى تدخل عمها واحضر كمية منه من اصدقائه ، ضج المستشفى بتكبيرات عالية مشحونة بزمجرة ووعيد اجبروا كل من المتواجدين على صلاة الجمعة .

أُجريت العملية باستعجال حذر ، لم تكن طفلة مثل بقية الاطفال اخذت تقلب بصرها بهدوء وجسدها ملطخ بدماء الولادة اللزج ، امام دهشة الحاضرين كأنها لاتريد ان تخرج من الكوكب المظلم الذي كانت تعيش فيه ، ثم تفاجأ الجميع بصراخها بعد ان وقعت عيناها على امها المستلقية تحت تأثير المخدر، احست أحلام

بألم بدا قليلا ثم اصبح لايحتمل ، وفاقت تماما على صوت الطفلة ، وشاهدت الطبيب يجري خياطة الجرح ، كان منظرا مرعبا ، وتحملته على مضض وهي تنظر الى طفلتها التي تشبهها وأسموها أمل ، كان الألم لايطاق ، لا توجد مسكنات ولا اي مستلزمات علاجية ، واسرع عمها بعد ان عيّن الطبيب العلاج له بأحضاره من مكان غير آمن ، خرجت أحلام في اليوم التالي من المستشفى وهي منهكة القوى ضعيفة الارادة .

* * *

غادر والدها مع عائلته مدينة الموصل واستقر في احد احياء مدينة بغداد وبدأ يستعيد عمله وكان ناجحا ، ولكنه ليس سعيدا فقد ترك من وراءه بنته أحلام وهو شديد التعلق بها في المجهول ، وهو يخشى على زوجها من تلك المجاميع الضالة ، لان ميوله الدينية تجعله يمقت تصرفها وسلوكها اللاانساني .

كان عبدالرحمن يتصرف بحذر ويتحاشى الاختلاط مع العامة والخاصة ، وطلب اكثر من مرة من اهله ان يغادر المدينة ويلتحق بصهره ، ولكن اصرار والدته بحجة والده بدا يضعف ويحتاجه ، وهي ترمي ابعد من ذلك ، غيرتها من زوجته التي

بدت في الفترة الاخير لاتطيقها بسبب محبة الجميع لها ، وتخشى ان ياخذها ويعيشون مع اهلها .

السنة الاولى كان شبه متاح الخروج من مدينة الموصل ولكن بعدها اصبح الوضع قاتماً وكانت الاجراءات صارمة من قبل تنظيم داعش ، وغالوا كثيرا في القتل دون تمييز وارهبوا الناس بشتى وسائل التعذيب ، وكانت الناس تتحين انصاف الفرص كي تنهزم من هذا الجحيم .

* * *

كل يوم تسمع أحلام قصصا مروعة تدمى لها القلوب ويخجل منها الضمير وتتبرأ منها الانسانية ، وسجلت ذاكرتها كثيراً من الاحداث البائسة والحزينة ، فرض تنظيم داعش من عام ٢٠١٤ عدداً من القوانين قسرا على النساء ، منها حرمانها من التعليم وارتداء الخمار والغطاء الثالث ومنع اظهار اي جزء من جسدها حتى اصبحت جميع النساء عند التسوق متشابهة .

وروى عبدالرحمن عن صديقه مازن كان يتسوق مع زوجته من مركز المدينة وفي غفلة ضلّت زوجته طريقها بين زحام الناس وابتعدت قليلا عنه ، وحاول ان يميزها بين النساء ولم يفلح ،

حتى اخذ ينادي دون اكتراث بصوت متأرجح(قدرية .. قدرية..) حتى رفعت يدها دون صوت في منحى قريبا منه .

كان تنظيم داعش يبتكر انواعاً جديدة من وسائل التعذيب لم يشهدها تاريخ الظَلَمة والطغاة على مر العصور لكل المناوئين له او الذين يخالفونه .

وعلمت من جارتها انهم رجموا امرأة امام انظار الجميع بعد ان اتوا بسيارة مليئة بالحجارة ، ويشار انها لم تفارق الحياة بعد كل هذا الرجم، حتى أمر قاضيهم بضرب راسها بحجارة كبيرة حملها ثلاثة من المسلحين هشمت راسها .

وحادثة اخرى ترويها احدى معارفها ، انها تعرضت الى تعذيب من عناصر الحسبة النسائية الذين يستخدمون (العضاضة الحديدية) حيث ضغطوا على لحم زندها بشدة حتى يقتطعوا جزءا منه ثم سلموها الى ذويها وبقيت تعاني من ألمها الى وقت متأخر .

وتسرب خبر لها عن امراة تدعى عائشة البالغة من العمر عشرين عاما ، عاشت تحت حكم داعش بعد تطليقها من زوجها في محكمة يطلق عليها(المحكمة الشرعية) .

* * *

تحرير مدينة الموصل

-٢٥-

بـدأت القـوات العراقيـة تسـاندها قـوات التحـالف الـدولي لتحرير مدينة الموصل عام ٢٠١٦ مـن بـراثن تنظيم داعـش تحت عنوان(قادمون يانينوى) .

تم احكام الحصار على المدينة لفترة اكثر من شهر ثم التقدم العسكري من جهات عـدة شـارك فيهـا الحشـد الشـعبي مـن الغـرب والقـوات العراقيـة مـن الشـمال والجنـوب ، اخـذت المعركـة فصـلا ضاريا من القتال حُررت العشـرات مـن القـرى في محـيط الموصـل ، انسحب التنظيم الذي كان يقاتل قتالا تراجعيا مع اقامة الكمـائن والاغارة بعربات مفخخة .

* * *

سامر أحد الضباط في قـوة مكافحـة الارهـاب مـن أقـارب أبـو أحلام وأوعده أن يتحرَّى أخبار بنته ، شارك مع وحدته في تحرير الجانب الايسر(الشـرقي) مـن المدينـة بسـرعة اكـبر بخسـائر قليلـة جدا وأُجبروا التنظيم علـى الانسـحاب الى الصـوب الايمن(الغربـي)

بعد ان نسف اربعة جسور . حُشر التنظيم في وسط المدينة وبدأ قتال الشوارع بشراسة وهو السائد .

جُرح سامر من أثر طلقة لعينة من قناص من سطح عمارة، عند محاولته القفز عبر سياج بيت ليعتلي سطحه ليؤمن الطريق لبقية رفاقه بالتقدم ، كان جرحه غائرا وأخترقت الطلقة بعد كسر ساعده ، أُنهكت قواه نتيجة النزف الدموي لم يستطعْ ايقافه رغم محاولته ، حتى استسلم الى قدره ، ورفاقه يحاولون انقاذه الا أن كثافة الرمي حالت دونه حتى غياب الشمس ، بعد هدوء الرمي وانسحاب داعش للخلف أنسلوا اليه وهو في الرمق الاخير وانقذوه تحت ستار الظلام .

* * *

الليالي السود

-٢٦-

تشجع الأهالي ممن يسكنون في الجانب الايمن ان يتسربوا على شكل مجاميع باتجاه الجانب الايسر ، كل من يجد له فرصة خشية المصادمات بين قوات التحرير والدواعش .

بدت اسطح البيوت المتجاورة والمتلاصفة كئيبة في الغروب اللامع وسحبت الشمس اشعتها ، وبدأ الليل يلقي بظلامه على ضفتي النهر ، اضطرت عائلة أحلام ان تتنقل عبر ازقة ضيقة في ليلة عتماء وسط صمت غريب ونفوسهم بائسة عند خطوب مرعبة ، كي تقترب من الجانب الايسر ، تحولوا الى بيت على نهر دجلة ، خلف الكنيسة الكلدانية ، التي تقع قرب مستشفى البتول ، ثم مشوا ببطء بين منطقة الرفاعي وضفة النهر ، قرب الجسر الخامس ، ليصلوا نهر دجلة حتى كانوا وجهاً لوجه مع السياف القاتل سيء الصيت ، وكانت طريقته التعذيب قبل القتل .

فقد تهيؤوا كي يختبئوا في تلافيف الظلام فاستغلوه ليتراجعوا الى البيت السابق وكان هدير المدافع مرة يزعق ومرة يهدأ .

لجأت أحلام الى حيلة ، مفادها ، جمعت كل مصاغها وحُليّها على بطنها وتحزمت عليها متظاهرة انها حامل ، وهي تمضغ ريقا من الخوف ، استقروا في البيت ومرت ليلتهم الاولى بسلام ، وهي تنظر الى نهر دجلة معاتبتهً ، كيف لايسعفها ، وعلى ضفته الاخرى منتجع الحرية ، كيف لايغير مجراه ليجعلهم بامأن من غدر هولاء الاوباش ، ياآلهي لم نستطع الهرب من مستنقع الموت ، اني احب زوجي واطفالي ، وعمي الذي اصبح أبي وصديقي وكل شيء لي ، وتلقي نظرها باتجاه بغداد ، أهلي لم ارهم منذ سنتين، انها محنة .

* * *

اليوم الثاني كان الوقت غروبا والجميع صيام لانهم كانوا في شهر رمضان في العشرة الاخيرة منه ، كان املها ان تنجو مع عائلتها .

كانت النساء في غرفة ، والرجال في غرفة امامها باتجاه النهر، والجميع ينتظرون الفرج الذي بات قريبا حسب حدسهم .

مرضت أحلام واحست ببرودة شديده رغم حرارة الجو لانهم كانوا في شهر حزيران ، ووجهها شبه متخدر ، فبحث زوجها عن غطاء او ماء ترتشفه لتبلل حلقها ، فاخذتها غفوة سريعة

وهي تحلم بالتحرير ، استيقظت على طلب زوجها منها ، الجزء ٢٧ من القرآن الكريم ، ومسكت يده بشده وطافت في عينيه بتركيز وتبادلت النظرات معه بأندهاش وهي صامتة ، وهو يتذلل لها بحنية لم تعلم انه ذاهب الى الموت ، او ان الجحيم سيكون محطتهم القادمة .. شابة ضحت بسعادتها واكثر الاشياء اهمية لاجل عائلتها .

❋ ❋ ❋

باغتهم انفجار مدوٍ شديد ، على اثره فقدت الذاكرة لمدة بسببه ، وشعرت بهالة كثيفة من الحر تحتويها واعضاؤها ترتعش واصابتها رجفة قوية اخذتها من قمة راسها حتى اصابع قدميها وكأنها انقطعت عن البشر ، وساد المكان غبار وضجيج ، ودخل الى صدرها الغض انفعالات مبهمة ، نظرت الى نفسها ، بقع من الدماء على ملابسها تجهل مصدرها والمكان ملون بالماء والدم والتراب ، يسوده عويل النساء وهن ينشجن بمرارة ، اخذوا طفليها الى بيت ثانٍ ، واذا بعمها قد افلتت روحه منذ حين ، ازاحت بصرها قليلا ، كان زوجها مسجى على الارض وجسمه يرتجف دون حركة ، لطمت خديها وسقطت عند رجليه منتحبة لم تعِ كم لبثت التصاق ركبتيها في وثاق الارض المبتلة بالدم .

اصبحت غرفة الرجال خليطاً من التراب والدماء ، وطفلة خرجت امعاؤها وبجانبها ابوها فقد احشاءه ، ورجل اخر فقد رجليه ، بين هذا الدمار ، كان رجلاً متوسط العمر لم يمس بشيء غير انه مغطى بطين وتراب، انها ارادة الله .

نُقل زوجها الى احد بيوت الكنيسة ، فيه شيء من الحياة وهو يتنفس بصعوبة ، فاقد الوعي ، ارادوا نقله الى المنطقة القديمة للعلاج ولكن حصلت اشتباكات فتركوه تحت الجسر الخامس وعادوا مسرعين ، كانت أحلام صامته لم تبكِ ولا تصرخ كباقي النساء لذهولها من ماحدث ، ثم نقلوه الى بيتهم الذي كان قريبا وهي تبكي دون دموع وصراخ يمزق الحنجرة دون ان يُسمع .

اخذت تعالجه على فطرتها بشاش ومحلول البوفيدين، لم تكن تعلم وجود شظية قذرة مستقرة في جمجمته ، احست بها اخيرا من خلال تحريك راسة وتحسستها باصابعها المرتعشة، وبدأ يضيق نفسه فادخلت يدها الى فمه كي لايختنق ويبقى مفتوحا ، اخرجت اصابعها من فمه كانت زرقاء من شدة ضغط اسنانه ، وهي لم تحس بهن ، ولسانها لم يتوقف من الدعاء الذي حفظته من امها . زوجي الحبيب لازلت معي في كل شيء .

* * *

كل شيء بدأ يتهاوى من حولها ، قرر اخوه ان يرجعه الى المنطقة القريبة ، عسى أن يجد علاجاً وكل ذلك الوقت وهو يمسك ورقة من القرآن الكريم(إن أصَّحابَ الجَّنـةِ اليـوَمَ في شُـغُلٍ فـاكِهُون هُـمْ وأزْوَاجُهُـمْ عَلَـى ألأرائِـكِ : سـورة يـس : الايـة ٥٥) ، هـدأت الاشـتباكات وذهبـوا لمشـاهدته وجـدوه ضـيفا عنـد رب رحـيم ، وتبدو علائم الغضب على وجهه وهو جثة .

رجعـوا للبيـت المشـؤوم المقصـوف وهـم يحتمـون بعضـهم بـبعض، يتبـادلون رعشات الخـوف ، ومتاهـات الرعـب مـع جميـع الجثـث ، وحـاولوا دفنهـا ولم يجـدوا اداة الحفـر ، هنـا اقتربـت مـن زوجها معاتبةً :

كيـف يتركهـا واطفالهـا دون اي معـين ، توسـدت يـده وهـي تحدثه مايجول في خاطرها ، زوجي لاتـنم طـويلا ، اود ان اخـبرك اني اشتقت اليك بحجم خيبتي بدونك ، وبحجـم آلامـي ، ولكـن لم يسمعها ، ثم نهضت ولقنته حد ما اسدل الليل اطرافه .

وضـعوا الجثـث في بيـت النسـاء واغلقـوا البـاب بشـكل محكـم خشية من الحيوانات .

بعدها سئمت الحياة واخـذت ابناءهـا ، الولـد تقـوده والبنـت علـى صـدرها ، وخرجـت في منتصـف الليـل الى ضـفاف النهـر مـن

فتحة في الكنيسة ، وبدأت تمشي بهدوء تقطع ظلمة الليل..تتعثر خطاه بقطع من حجر ، بتراب ، بنتوء خشب ، على حافة النهر بمحاذاة سور القلعة ، خشية رؤيتهم من فوق القلعة ومعها مجموعة من العوائل ، وصلوا منطقة توقعوا محررة لكنهم تفاجأوا لم يصلها الجيش ، تجاوزوا مناطق: الشفاء ، المستشفى ، النجار ومروا على عين كبريت على جانبها رجل وامراة ورضيع مقتولين من قبل داعش ، اخذوا يسارا باتجاه حاوية الكنيسة ، انشرحت اساريرهم على مضض عندما التقوا بافراد الجيش ، صحبوهم الى احد بيوت المواطنين الساعة كانت وقت الفجر .

طلبت أحلام الأتصال بوالدها وكان يطمئنها انه في الطريق اليها وهو قريب جدا وهي تبكي بحرقة شديدة ، وبدوره طلب من السائق ان يستعجل .

* * *

لم تكن المجموعة الوحيدة من العوائل التي رامت الفرار واصابها ما اصابهم ، فقد تجمعت عشرة عوائل في زمن محدد وحملوا ما خف حمله وغلا ثمنه ، وتابعوا مشيهم مدة عشر دقائق قبل الغروب في حينها خفت الاشتباكات ، وعند محاولتهم عبور احد السواتر القريبة من ضفاف نهر دجلة ، واذا بصوت

زاجر(اتريـدون الهـروب الى ارض الكفـر وتتركـون ارض الخلافـة) حتى فتحوا النيران بكثافة ، في حينها عمت الفوضى وتعالى عويـل النساء وصراخ الاطفال ولاذ بعضهم ببعض واحتمى الاخرون بـاي شيء دون هداية ، ولم يكتفوا بما حصدوا منهم من قتلى بل تقدم بعضاً من عناصرهم وقادوا عددا مـن خـارت قـواهم مـن الرجـال واعدموهم فورا .

* * *

منطقة الأمان

-٢٧-

وصلت أحلام الى الجانب الايسر عند الضحى ، وقامت الجهة الامنية بمراجعة اسمها عن طريق حاسبة المعلومات، انتظرت في خيمة حتى انتهاء الأجراءات الأمنية ، في حينها جاء صهر زوجها واصطحبها مع اطفالها الى بيتهِ بسيارة حمل كبيرة عليها اثار قصف ، انهت مابقي من ملامح ملابسهم وفيها شبه اختفاء لسيمائهم ، من شدة الارق والتعب والخوف والجوع الذي يصرخ في احشائهم ، انهم مشردون، هنا احتاجت الى اهلها واتصلت بوالدها ، وقد اتصل باحد اقاربه ، بان يذهبوا الى أحلام ويصطحبوها الى دارهم وكان قريبا منهم .

بدأ اقاربها يتوافدون عليها ليعزوها ويقللوا من محنتها ، ألتقت امها وابوها ، وارتاعوا من منظر جميلتهم ومدللتهم ، كان لقاءً حزينا لم تأبه بدخولهم اول مرة، كانت شاردة الذهن احتضنوها مع بكاء شديد ، اصطحبوها الى بيتهم الذي جعلوه استراحة لهم عند نزولهم الى مدينة الموصل ، كان بيتا جميلا يتوسط الاشجار ، احضروا الطعام وكان وقت العشاء امتنعت

واطفالها منه حين شمّوا رائحته لشدة الجوع تلك الفترة ، واكلهم الحنطة المسلوقة او المطحونة .

شاركهم السكن بيت خالتها لتعرض بيتهم للقصف وكان ولدها طبيبا ضمد جراحها واغتسلت من ادران مالحقها . انتظرت أحلام دفن محبيها ، زوجها وعمها وعلى تكبيرات يوم العيد وهي تنظر الى طفليها ، انهم فقدوا عزوتهم ودلالهم .

زوجي الحبيب لازلت معي في كل شيء الا واقعي ، الان اشتقت لك بكل اوجاعي التي اداريها ، وياعزة نفسي التي اخفيها ، وبكائي المرير عليك كلما هدأ أثاره بكاء اطفالي ، يا حب روحي واجمل ماقبلته في هذه الدنيا القصيرة .

افترقنا لكنك معي ادعو لك في ركوعي وسجودي .. اراك في عيون القراء الحزينه وانا ادس صدقة عسى ان تصلك ثوابها وانت قي خلودك ..

تركت الصلاة اسبوعا جزعا لما حدث حتى جاءها لطف ربها، ان يهديها الى طاعته والخضوع الى ماكتبته الاقدار لها ، فلابد من طرد مكامن الجزع بالصلاة والصبر. عاد والدها الى مدينة بغداد لمتابعة مصالحه ثم لحقته جميع العائلة بعد شهر .

عاشت مدينة الموصل اسوأ حقبة في تاريخها المعاصر وهي ترى تكسير معالمها الحضارية الاشورية ومأذنتها المميزة بدعاوى ساذجة ومتخلفة ، وبتعاون عصابات دولية مع افكار الظلام التي انتهجتها داعش ليجعلوا أبناءها يفترشون المساجد والكنائس كاللاجئين ومشردين ، الا ان زحف خليط من قوات حماية الوطن من جميع شرائح المجتمع تم طردهم وتحرير مدينتهم من قوى الشر .

* * *

ويستمر الحزن

-٢٨-

خسرت أحلام كل شيء ، زوجها حتى ممتلكاتهم الخاصة ، سيطرت عليها عمتها وحماها ولم يخصوها باي من الارث ، لان لم يسجل باسم زوجها حتى سيارته الخاصة . ثار في راسها صراع ثقيل وكأنها تحس في داخلها أُخرى تناقضها في كل شيء ، حتى اصبحت ساخطة ، غاضبة ، متجهمة .

تعامل معها اهل زوجها بقسوة ولم يرعوا اطفالها حتى حجبوا المستمسكات اللازمة للاطفال والتي هي مهمة في أخراج الهويات المطلوبة واللازمة للراتب التقاعدي ، الذي كان للأم نصيب منه .

عندما تتذكر أحلام تلك الليلة الاولى من زواجها لاتنام، انها كانت اقرب الى الله فيها ، كيف لم يمنحني ما يخلصني من اوجاعي وذلّي ويعيدني الى تلك الصبيّة الوديعة قبل كل هذا التشتت .

في تلك الظروف الحالكة حدثها ابوها :

- يا ابنتي لقد اوجعنا ماتمرين به ، فلاتظني ان ثكلك يقع عليك وحدك ، ابتهلي الى الله وتعلقي برحمته ، يذهب عنك الحزن ، ويسلُهُ قلبكِ .

- سالت على وجهها دمعة ، ثم استعبرت وبكت .

- اخذ يفكر ابوها مايفعله بشانها فلم يجد جوابا .

ولكنها رعاية الله ، انبرى احد الخيرين من معارف ابيها وتبرع باخراج هويات لاطفالها واستبدال هويتها الشخصية الى ارملة ، لكي تستحق الراتب التقاعدي ، وهنا احتاجت دائرة التقاعد الى توقيع ام زوجها ، فاصطحبها ابوها مع اولادها الى مدينة الموصل ، فوجئوا بتصرف غريب من ام زوجها كانت نزقة تتلاقى في عروقها دماء هجينة وبدت كأنها كائن اقرب الى الوضاعة ، حيث اختبأت في غرفتها وامتنعت عن مقابلتهم عنوة كي تحرمهم من الراتب التقاعدي . حاولوا ان يحركوا فيها الحنين وعاطفة الامومة الى ولدها ولكنها لم تكترث ، انزعج والدها من موقف الام وغضب جدا مما سارع بترك الاطفال عندهم مما اذهل أحلام ولكن اصرار أبيها جعلها تذعن للموقف ، وهي تكتم ألمها العميق على فقدان اطفالها .

خمن والدها ان يشعرهم بالخدمة التي يقدمها لرعاية اطفالهم وهم يسرقون حقوقهم الشرعية ، ولكن هذا كان على حساب وجع امهم المسكينة وهي تجر اذيال الخيبة ولاحيلة لها غير البكاء .

❊ ❊ ❊

التصرف اللاانساني

-٢٩-

بدأ التنافر وعدم الانسجام بين عائلتها وعائلة زوجها في كل شيء ، واحيانا يصل الى الشجار . واصبحت أحلام خاوية خارت قواها وتساقط شعرها واصيبت بفقر دم حاد وغادرتها كل ملامحها الانثوية ، وروحها تائهة وتحاول ان تهيم في بقاع الارض بحثا عن اطفالها وهي تمد يدها الى السماء بحثا عن املها الضائع لتعود بخواء وخيبة وكأنها اصابها وهن الشيخوخة مبكرا ، بل شاخت في الروح والجسد ، وبدا على وجهها الهزال واصبح شبه شبح يسير في عتمة .

رغم كل الظروف القاسية ، وهي مغلوبة ومقهورة في دنيا مغلقة الرجاءات ، بدأت تحدث نفسها :

هل ابقى فتاة بلا طموح ولاحلم ، خاوية من كل شيء ؟ هل ابقى ساذجة وهم لصقوه بها كركن من العادات ؟ يجب أن تعتز انها جوهرة ، دُرّة مغلفةً لم يكتشفها من يستحقها ، جاءها هاتف.. لاتنظري الى ورائك وغادري الصور الراحلة والاحداث الآفلة ، تجهمي المحتوم وترجلي من الان وانطلقي الى مايكون .

* * *

نفضت كل هموها وايقنت أن لم تساعد نفسها وتخض غمار ماترغب به تبقَ مشلولة ، حتى اختارت طريق الدراسة التي حرمت منها يوما ما وكانت متفوقة جدا ، لكن غدرت الظروف بها .

نهضت في الصباح الباكر وقدمت على الامتحان الوزاري للسادس العلمي وحصلت على نتيجة مرضية وكان إقدامها ، اولى خطواتها في سلم التحدي بقلب مؤمن شد من ازرها ونالت اعجاب الاخرين لتصميمها على تخطي قساوة الايام ..

كان الوقت مساءً ، اصطحبت اختها وسارت مع الزائرين المتوجهين الى زيارة الامام موسى الكاظم مجروحة الفؤاد مشتتة الذهن ، لم يهدأها نجاحها بل كل همها اطفالها ، وكانت تقرأ أيات من الذكر الحكيم حتى اعياها التعب ، لان جسمها لم يسندها حتى توقفت عند الباحة المقابلة لجسر الائمة ، ونظرها شاخص صوب منارة الامام ودعت دعاءً بحرارة ثم اقفلت راجعة الى بيتها.

غادر والدها دون ان تعلم السبب الحقيقي الى مدينة الموصل وهو يرنو لها بصمت ، وسألتهُ حينها عن مقصده ، فكانت حجته

اكمال معاملة التقاعد على ضوء مكالمة من عم الاطفال بعد سنة ، وهو يكيل له التهديد ، اذا لم تأتوا لاخذ الاطفال سنضطر لتسريحهم في الشارع .

* * *

وتبدد الحزن

-٣٠-

عاد والدها وبرفقته طفلاها ، كانت رؤيتهما أحلى مفاجأة يقدمها لها أبوها ، وانشرحت بذلك كثيرا ، وكتم عنها موقف العم اللاانساني .

بدأت تتمنى ان تتغير رغم الاستفهامات المزدحمة التي لايجوز طرح بعضها ، وكثير من المقارنات التي اخذت تعصف في داخلها وتجعلها تنقرض مع الايام ، رغم اقرانها من عمرها لم يدخلن بيت الزوجية .

كانت تراقب اختها وصديقاتها وهن يتسابقن الالتحاق بمدرستهن يومياً ، كان مشهداً اثار في نفسها فضولا لم تقاومه . كانت تنتظر تكملة دراستها بلهفة السجين لخبر الافراج عنه .

عند قبولها في كلية اهلية اول ابواب الفرج ، نالت استحقاقها في أحد الاقسام الطبية التي ترغب فيه ، وباعت اسوارها الذهبية لدفع الاقساط المطلوبة في تلك السنة . كانت نتيجتها الاولى مما اسعفها ان تكون في المرحلة الثانية معفاة من الاقساط ، وكان هذا الخبر اسعدها وخفف العبء عنها لانها لم تجد مصدراً لتسديده .

* * *

هيفاء صديقة مقربة لها ، لم تماثلها في الاحلام ولا في الطموح ، لم تبالِ من سيكون زوجها ولا يخيفها الارتباط برجل تقليدي بحت ، حتى لو كان رديء الذوق والملابس والحديث ونظرته للحب لاتتجاوز الطعام والسرير ، بينما أحلام تصغي لحديثها بملل ، وهي الان اصبحت كائنا محشوّاً بالقدرات التي بدت تنمو . اخذت تفكر سرا بامنيات هيفاء البسيطة ، كيف تنطفىء شعلة الطموح بداخلها وهي تحمل قدرا من الجمال ، (هل الحظ السعيد لايصادق الجميلات) .. آه لو تعلم ما نكدت علي السنين ، لكنها لم تطفىء جذوة الامل في داخلي ، وكانت تجامل صديقتها ، عليك ان تختاري الاشياء التي ترغبين فيها لتستمر الحياة .

لم تصمت هيفاء ، ياصديقتي ان الزواج بوابة الحياة للمرأة وهذا يتم من خلال الرجل ، ومن يبادر ويطرق الباب فانا اصلي ان اعجبه لابدأ حياة جديدة ، ردت عليها أحلام ، من اعطاه هذا الحق المقدس وحُقن في خلايا كل امراة ، ليستولي على عقلها وكيانها ويبقى شاخصا صلدا وتبقين سلعة معروضة مسلوبة الارادة وتتركين مع قدرك دون أن يكون لاحزانك كيان وقيمة يا للعجب ..!!

تعود أحلام في نهاية يوم دراسي الى سريرها مرهقةً وترمي راسها على المخدة وتنام فورا من شدة التعب ، ثم تنهض وتراجع دروسها بكل شغف دون ان تدخل الى شبكات التواصل لاجتياح قلبها حزن كبير ، وكثير ما يؤلها وهي تخشى ان تفقد ايمانها بنفسها على قدرتها على النجاح المتميز .

* * *

الحب لايموت

- ٣١ -

اكمل أبوها معاملة هوية التقاعد وبطاقة تحويل الراتب ، بعد اجراءات معقدة بين الطب العدلي ومكاتب الامن الوطني .

عند مراجعتها احدى الدوائر الخاصة بالتقاعد ، نظرت باندهاش صامت لاول مرة ، وضاق صدرها من هول المفاجأة التي شاهدتها ، طوابير من النساء اللواتي حضرن لنفس امرها ، اغلبها مرتدية وشاح اسود ذابلة الجفون ، اخذ منها الحزن كل ملامحها الانثوية ، لفتت انتباهها شابة صغيرة تنافسها في العمر اوصلت امراة عجوز قرب شباك المراجعة وتنحت جانبا مما اتاحت فرصة لاشباع فضولها :

- صباح الخير اختي

- صباح النور

- هل جنابك ارملة؟

- ياليت

- صُدمت من ردها ، اذن ما همك؟

- هذه العجوز هي محور حزني ، أم حبيبي الذي كان توأم روحي ، ربطتني به علاقة اكثر من سنة ، وعندما بدأت القوات الوطنية تحرير مدينة الموصل ، كان موضعه بعيدا عن ساحة الاحداث وكنت مطمئنة ونتبادل الرسائل يومياً بكثافة .

في يوم اتصل بي عماد :

الو : كيفك صابرين بضجر لم ادركه في لحظتهِ

- اهلا حبيب الروح ، كيفك انت .

- رد في صوته حشرجة لم تألفها سابقا .. لاتقولي حبيبي بعد الان ، هذا آخر اتصال بيننا :

أنا لا افيدك ، وانت غير مناسبة لي ولا لأهلي ، واتمنى لك شخص اخر تكملين حياتك معه(قد يكتب الله لك نصيبا اوفر حظاً مني) .

- انُصدمت من شدة المفاجأة .. لحظة قبل ان لاتقطع الخط .. شكرا على كل الوقت الذي قضيته معك ، كان اجمل مافي حياتي.

- أُغلق الخط .. وبقيت صامته وتزاحمت في ذهني افكار عديدة ، فيها لمت نفسي كيف ارتبط بشاب غير موثوق به ، واجبت نفسي انه لم يكن ذلك .. بقيت في حيرة من أمري بين ماأكن له

من حب جارف والواقع الذي انا فيه، حاولت ان اتناسى الموقف رغم صرامته .

مرت شهور وانا كاظمة غيظي من تصرفه ، وحاولت عبثا ان ادخل على صفحته على موقع التواصل الاجتماعي ، زلزلت بي الارض ، شاهدت اخر صوره له نشرها سابقاً ، وعليها تعليقات كثيرة (رحمه الله) .

جُنّ جنوني وبقيت داخل غرفتي فاقده رشدي ، هدأت قليلا واتصلت بأقرب صديق له وسام .

- الو وسام : ما صحة هذا الخبر المنشور على عماد والتعليقات ؟

- في يومها نُقل الى الخطوط الامامية وكانت الحرب مستعره تحرق الاخضر واليابس ولم يأتِ بخاطره غيرك، واحس بقرب نهايته وأراد أن لايحزنك ، فتصرف بذلك .. انه الوطن ياصابرين من يفقده ، يفقد كل شيء.

غادرني على عجل فهو لم يكن حبيبا فقط بل كان وطنا كبيرا ينتمي عالمي له ، تمنيت ان استقر معه ، يحترمني كزوجة ، يطبع قبلاته على وجنتيّ بشوق ، الان لا رسائل تصل ولا املك اي وسيلة اطفىء بها جوع أُذني لصوته الثخين .. شعور يشبه الموت ، كلما اشتاق له اسرعت ان اقدم خدمة لأمهِ .. هي اداة لتداوي

جروحي التي لم تندمل .. انه يختبيء داخل قلبي بعيدا في مكان لايصل اليه عاشق جديد .

- هذه المرأة ؟

- بلى ، أمه .. لم أغادرها منذ سمعت بخبر استشهاده لحد الان .. وفاءً له رحمه الله .

- جزاك الله خيرا .

* * *

ابلغوا أحلام خيرا في انتظار اصدار القوائم الخاصة بالشهداء، حتى اطلعت في يوما ما على الاخبار في شبكات التواصل الاجتماعي التي بدت تدخلها تواً لهذا الغرض ، وسُرت عندما قرات قوائم صادرة من دائرة تقاعد الشهداء تتضمن اسم زوجها ، كان خبرا مهما وجاء في الوقت الذي تحتاج الى الراتب لسد احتياجات طفليها ودراستها .

* * *

من الذاكرة

-٣٢-

في السنوات الاخيرة اصبحت شغوفة بشبكات التواصل الاجتماعي ، ونشطت في المدة الاخيرة وصار لديها معارف واصدقاء غير قليلين ، وتوجت صفحاتها باسمها الصريح وصورتها المحتشمة، وجاءها طلب صداقه من دولة اجنبية ولكن باسم عربي ، تمعنت بالأسم(نور) مكتوب باللغة الانكليزية ، صعقت من هول المفاجئة .. نعم نور .. صديقتها ايام الابتدائية ، صرخت بصوت فيه حشرجة وهي ترتجف .. امي .. امي .. انها نور ، واطلعتها على صورتها .. هي .. هي .. خفق قلبي .. انها لم تغادر شغافه.. الله انها اصبحت اكثر القاً.. كيف لي ان اتصل بها ، حاولت مرارا دون ان تفلح ، كتبت لها ..

- عزيزتي نور..ساعة لقائنا الاولى لاتزال منقوشة في ذاكرتي حتى الان ، تبا للايام ان فرقتنا ، وتعساً لقوى الظلام ان تحتل بلادنا ، وتعسا للغرباء ان يهجّروك ويبعدوك عن وطنكِ .. انتِ في القلب .. يبقى وطنك يحن لك ولأمثالك .. لايهدأ له بال ولايستقر له خاطر حتى تعودوا لتغفوا بين احضانه وتشموا

اريج تربته التي تصرخ ليل نهار وهي تختنق من زكام المتحذلقين .. عمق اشتياقي .

بعد يومين جاءها الرد من نور ..

- صديقتي العزيزة أحلام .. انت الوحيدة التي لم اخجل من تعري عواطفي امامك .. لم اكتم سري عنك .. في كل يوم يزداد حزني حتى يضيق صدري .. رغم كل شيء متوفر هنا بيسر ، قد نفرح ولكن ليس كل فرح سعادة ياصديقتي .. غادرتني السعادة حين غادرت عش الطفولة .. غادرت هربا من وحوش العصر ، تركت وطني ، فيه ذكرياتي ، منه نسج اسمي وعليه ترعرعت طفولتي .. انه يسري في دمي .. هو سعادتي وزهوي .. هو حياتي ومماتي ... كل شيء دونه يهون.. ولكن فراقه مرارة حنظل تسكن في البلعوم لانقذفها من الفم لنستريح ، ولا نبلعها لُتهضم ...

- في اليوم التالي تواصلتا صوتيا .. كأن النحيب آلف بينهما .. حتى افرغت كل منهما ما اختزن في جوانحهما من قساوة الايام وادران جدب السنين .. بادرتها أحلام ، حبيبتي اني محتقظة بهدية عيد ميلادك ، وانا اكيد سوف اضيف لها كل سنوات الفراق عندما نلتقي قريبا باذن الله .. ردت عليها نور ..

- آمين ، ولكن تبقى ذكرى الوطن الذي خلفها مؤذية ، كجرح رطب لم يندمل في قلبي يأبى الجفاف ، تصحبه دموع عيوني التي لم تستكن مادمت بعيدة عنه ، ولكن لي عزاء ان اللصوص والمجرمين لامكان لهم هنا ، قاطعتها أحلام انهم هنا ليس في الشوارع فقط بل هم بيننا يظهرون بهيأة الملائكة والنبلاء .. نتواصل عزيزتي وسررت بك كثيرا .

* * *

وبدأ الحلم من جديد

-٣٣-

هنا بدأت تسترجع حيويتها كفتاة يافعة رممت ما اخذت منها عبث السنين المنصرمة وأصبحت زهرة ربيعية خرجت توا من اديم تربتها لتعانق نسيم الحياة واشعة الشمس وهي فرحة لاقبالها على الحياة وتعيد حماسها التي تتسم به وتغادر عزلتها وقنوطها واصبحت مؤمنة بالاقدام والتحدي والاّ تهزم وتموت قبل الموت ، وبدت تجاعيد وجهها تتراجع وتحافظ على طولها المعتدل ، وجسدها الملفوف ، وصوتها الرنان، واختياراتها السليمة لمشدات البطن والارداف وحمالات الاثداء ، وتذوقها السليم لكل احتياجاتها لتنافس قريناتها في الدراسة ثم في العمل .

تنهض مبكرة في كل فجر مع صوت المؤذن بقلب صافٍ نقي وطاهر لاداء الصلاة ، ثم تقرا ايات من القرآن الكريم .

* * *

تخرجت في كليتها وكانت الاولى على دفعتها ، وهي في حيرة وتردد بين استقرارها في البيت وبحثها المتلكىء عن عمل ، واخير

توفرت لها وظيفة في احد المراكز الاهلية بأجور يومية دون طموحها ولمدة سنتين ، حتى تم تعينها في المؤسسات الصحية الحكومية .

برغم انها تبدو شابة في العقد الثالث من عمرها وقريناتها لمّا يتزوجن بعد ، وتغري الكثير من الشباب الذين يرومون الزواج، لكنها الغت فكرة الزواج ، وتنكرت لعواطفها ، وكأنها خُلقت لتربية اطفالها .

الأمل ممكن ان يؤكدها لايبددها ، وقد تجد فسحة ضئيلة منه ليستحدث انفراجا في داخلها ، احيانا تكون متفائلة غير ان غموضا يكتنفها تجهل التعامل معه ، تستنكر التصريح عن مكنوناتها بسهولة .

كلما تنظر الى طالعها قد لايكذب ولكن لاتفهمه ، كل منا مكتوب عليه ، ولكن تسبق كل ذلك مشيئة الله التي تجعل الناس تهابها وتغار منها الفارغات من النساء ، لاتثير شفقة الاخرين كونها بدون رجل ، ولا مغرية للصداقة والحب .

لكن لايمنعها ان تحلم برجل وسيم قد يخفق قلبها له.. بيده علبة يتوسطها خاتم من الالماس .. يركع امامها معجباً غير مشفق، واضح غير غامض .. لايثير لها شجونها ، وحده يعرف سرها

ويحفظه ويقبّلها عند الخصام كطيور الحب .. انه حلم مؤجل ، وكلما شعرت أن الايام كشرت لها اعطتها ظهرها واتصلت بحبيبها ، هو ربها على اطراف سجادة الصلاة وهي ترتدي شالها الابيض الذي رافقها سنوات عمرها ، فيه يلمس قلبها راحته ، وهي ترتل ايات من الذكر الحكيم .

❊ ❊ ❊

وكل هذه الظروف يبزغ نور من جنباتها ليحرك عندها طموحاً مشروعاً في تكملة دراستها العليا.. كان حلماً وليدا وهي تنظر له بجدية المتيقنين لتحقيقه مادامت تتمسك بالاقدام والالحاح بقلبٍ مؤمنٍ بالإقدار .. لتستمر الحياة .

ختمت خطابها الى استاذها :

- هل ممكن ذلك استاذي ..؟!

❊ ❊ ❊

النهاية

المحتويات

١. الصدمة.....٧
٢. أنه..الحزن.....١٢
٣. الرسالة المفتوحة.....١٥
٤. وبدأت الحكاية.....١٧
٥. مدينة الحلم.....١٩
٦. الأرق المزعج.....٢٣
٧. أللقاء الأول.....٢٧
٨. الخبر السعيد.....٣٠
٩. حُلم الزواج.....٣٦
١٠. رضا الوالدين.....٤٠
١١. الميثاق الغليظ.....٤٥
١٢. الليلة السعيدة.....٤٧
١٣. الحياة الجديدة.....٥١
١٤. مدرسة أحلام.....٥٤
١٥. السنة المشؤومة.....٦٠
١٦. الرجال..مواقف.....٦٦

١٧. تجمع العائلة.....٦٨
١٨. إِنها.. الفتنة.....٧٢
١٩. الأنكسار.....٧٦
٢٠. انعطاف غير متوقع.....٨١
٢١. الخطوبة.....٨٥
٢٢. ليلة الزواج.....٨٧
٢٣. غضب العائلة.....٩٤
٢٤. الحقد الأسود.....٩٧
٢٥. تحرير مدينة الموصل.....١٠٢
٢٦. الليالي السود.....١٠٤
٢٧. منطقة الأمان.....١١١
٢٨. ويستمر الحزن.....١١٤
٢٩. التصرف اللاانساني.....١١٧
٣٠. وتبدد الحزن.....١٢٠
٣١. الحب لا يموت.....١٢٣
٣٢. من الذاكرة.....١٢٧
٣٣. وبدأ الحلم من جديد.....١٣٠
٣٤. الخاتمة.....١٣٣

الحزن ... لا يقتل الأحلام

جميل موسى ضباب

من أين أبدأ؟

من نكد السنين وغضبها .. من طفولتي التي جفت اوراق ربيعها وألتهمتها نار الطائفية البغيضة، أو من محنتي التي شردت بها في ليلة مشؤومة حالكة الظلام، وخسرت فيها كل شيء .. زوجي وبيتي، أو أحكي لك عن ظروف زواجي المبكر .. تحت غمامة الجهل والأحتيال. إنها سنين بائسة إكتنفها حزن مقيت، أنا مؤمنه برغم أن الفرص لاتسترجع بعد ضياعها .. ولايمكن عودة الزمن بعد مروره .. ولكن أعتقد لدي من الشباب بقية أتوسد فيه الأمل قبل رحيله .. ومؤكد وراء كل غيمة سوداء سماء زرقاء .. ولي في الطيور عبرة .. تسافر في الارجاء تسعى للرزق والأمان برعاية الله، وأنا أبحث عن حلمي بين ركام كل هذه الأحزان برغم جراحاتي.

مكتب زاكي للطباعة
بغداد - باب المعظم
07703975525
رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٢٣٨٦ لسنة ٢٠٢٢